الأصولية (النشأة والمحددات والسمات)

الباحث/ باهر عبد العظيم حماد

لدرجة الماجستير بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة حلوان

المستخلص:

ظهر التيار الأصولي في أمريكا في القرن العشرين، من داخل المذهب البروتستانتي؛ بهدف الدفاع عن صلاحية المعتقدات المسيحية التقليدية، (ألوهية المسيح – ولادته من أم عذراء – قدسية الكتاب المقدس وأنه مُحى به – الإيمان بنظرية الفداء وموت المسيح كذبيحة لتحقيق العدالة الإلهية – قيامة المسيح الجسدية ومجيئة الثاني – أداء المسيح للمعجزات خلال خدمته الأرضية)؛ وذلك بعدما أدى التوسع في النظريات الحديثة إلى تطبيق مذاهب النقد على الكتاب المقدس وبالتالي، إخراج العديد من أحداث الكتاب المقدس، واعتبار المعجزات الواردة فيه مجرد أساطير كتبها أشخاص في أزمنة مختلفة.

لقد تصور المحافظون أن أفكار الحداثة، تهديد صريح للمسيحية؛ لأنها تنكر سلطة الكنيسة، وتشكك في ألوهية المسيح، والثالوث المقدس، وتعطي الأولوية للإنجيل الاجتماعي ضد الكرازة التقليدية. من أجل ذلك قاموا بمجموعة من الفاعليات لمحاربة الأفكار الجديدة، كان من بينها عقد سلسلة من المحاكمات للذين يعتنقون تلك الأفكار، وبالفعل نجحوا في إقصاء عدد من قادة الكنيسة، كما أصدرت الكنيسة المشيخية، ورقة من خمس نقاط، تتضمن أبرز ٥ عقائد مسيحية، وطالبت الحكومة تأكيدها. وفي العام ١٩٠٩ تم إنتاج وتوزيع مجموعة مكونة من ١٢ مجلدًا تتضمن المقالات المسيحية المحافظة، بعنوان الأساسيات شهادة الحقيقة.

وخلال العام ١٩٢٠، تمكن القس المعمداني، الصحفي كيرتس لي لوز (Curts Lee Laws 1868/1946)، من صياغة مصطلح أصولي، وتعهد خلال حضوره "مؤتمر الأصول" في مدينة "بوفالو" إحدى مدن ولاية نيويورك الأمريكية، بأن المؤمنيين سيخوضون معركة؛ من أجل الحفاظ على أصول المسيحية. وهناك محددات للجماعة حتى تكون أصولية، فضلًا عن أن الشخص الأصولي له سمات بينها الجمود والعنف ورفض الآخر.

الكلمات المفتاحية:الأصولية – البروتستانتية – المسيحية – الإنجيل

المقدمة:

لقد ظهر التيار الأصولي من داخل المذهب البروتستانتي Protestant doctrine؛ للدفاع عن صلاحية المعتقدات المسيحية، المتمثلة في (ألوهية المسيح – ولادته من أم عذراء – قدسية الكتاب المقدس وأنه مُحى به – الإيمان بنظرية الفداء وموت المسيح كذبيحة لتحقيق العدالة الإلهية – قيامة المسيح الجسدية ومجيئة الثاني – أداء المسيح للمعجزات خلال خدمته الأرضية). فيما كان التوسع في النظريات الحديثة التي تطبق المذاهب النقدية على الكتاب المقدس، أكبر تحد لتلك المعتقدات؛ إذ تم إخراج العديد من أحداث الكتاب المقدس، واعتبار المعجزات الواردة فيه مجرد أساطير كتبها أشخاص في أزمنة مختلفة.

إن الأصوليين رأوا في أفكار الحداثة، تهديدًا صريحًا للمسيحية؛ لأنها تنكر سلطة الكنيسة، وتشكك في ألوهية المسيح، والثالوث المقدس، وتعطي الأولوية للإنجيل الاجتماعي ضد الكرازة التقليدية. وفي سبيل مقاومة هذه الأمور عقدوا سلسلة من المحاكمات؛ أقصوا من خلالها قادة في الكنيسة، وأنتجوا في العام ١٩٠٩ مجموعة مكونة من ١٢ مجلدًا تتضمن المقالات المسيحية المحافظة، بعنوان الأساسيات The Fundamental شهادة الحقيقة Testimony Of Truth.

فيما كان العام ١٩٢٠، فارقًا في صياغة المصطلح بشكله الحالي؛ إذ تمكن القس المعمداني، الصحفي كيرتس لي لوز (Curts Lee Laws 1868/1946)، من صياغة مصطلح أصولي، وتعهد خلال حضوره "مؤتمر الأصول" في مدينة "بوفالو" إحدى مدن ولاية نيويورك الأمريكية، بأن المؤمنيين سيخوضون معركة حامية الوطيس؛ من أجل الحفاظ على أصول المسيحية.

إن غياب المعنى والقيمة الذي بدء المواطن الغربي الاستشعار به؛ نتاج التطورات الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي فرضتها الحداثة، جعلت تيارات وأيديولوجيات جديدة تسعى لشق طريقها؛ لملء الفراغات الذي أحدثتها الحداثة بقصد أو غير قصد. الشيوعية، والنازية، والقومية، والأصولية، وأيديولوجيات أخرى، بدأت في شق طريقها عبر القارة العجوز في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وسعت إلى تزويد الإنسان بالمعنى والقيمة، كل على حسب توجهه، لذلك تعتبر الأصولية ردة فعل مباشرة على أزمات الحداثة.

وحتى يمكن تحديد ما إذا كانت الجماعة أصولية من عدمه، فهناك مجموعة من المحددات إذا ما توافرت في الجماعة أمكن إطلاق أصولية عليها. ومن بين هذه المحددات امتلاك تلك

الجماعة موروثًا دينيًا تعتقد اعتقادًا مطلقًا في عصمته وامتلاكه الحقيقة والقدرة على تقديم إجابات مقنعة لجميع الأمور، كما أنهم يضعون السلطة في هذا الموروث، على أن تكون هذه السلطة إلزامية على الأفراد وليست اختيارية.

أما على المستوى الشخصي، فالأصولي يتسم بمجموعة من السمات، بينها، الجمود، ومعارضة كل نمو، والرغبة في العودة إلى الماضي، والانتساب إلى التراث والمحافظة، وعدم التسامح والانغلاق، والتحجر المذهبي، والتصلب، والعنف، والعناد، إلى جانب الشمولية والجنوح الدائم إلى العنف، والإيمان بالمفهوم التدبيري للتاريخ؛ أي أن العالم يسير وفق تدابير إلهية لا يمكن الخروج عنها.

هدف الدراسة:

يستهدف البحث تتبع نشأة المذهب الأصولي، وتعريفاته، فضلًا عن الربط بين ظهور المذهب الأصولي، وشيوع النظريات الحديثة التي تعمم استعمال المذاهب النقدية حتى على الكتب المقدسة. كما يستهدف البحث الوقوف على الملامح الأساسية للمذهب الأصولي، وسمات هذا الشخص.

تساؤلات البحث:

يطرح البحث جملة من التساؤلات بينها:

- متى ظهر التيار الأصولي وما هي أسباب ذلك الظهور؟
- ما هي العلاقة بين المذهب الأصولي وأفكار الحداثة؟
- متى يمكن اعتبار جماعة ما جماعة أصولية؟
- ما هي أهم سمات الشخصية الأصولية؟

منهج البحث:

تم استخدام في إعداد هذا البحث بعض مناهج البحث المختلفة، وأهمها: المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي، فضلًا عن المنهج النقدي، ولا شك أنها مناهج تستقيم تمامًا مع موضوع البحث.

أ – الأصولية Fundamentalism:

لم تذكر كلمة الأصولية Fundamentalism في المعاجم اللغوية، بشكل صريح، تجد فقط جذرها اللغوي، وهو (أصل) Origin، والنسبة إليها (أصولي) Fundamentalist، "والأصل: ما يبنى عليه الشيء أو يتوقف عليه، ويطلق على العلة في الزمان أو على العلة في الوجود". (١) "والأصل جمع أصول، وهو ما يُفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره، وفي الشرع: عبارة عما يُبنى عليه غيره، ولا يُبنى هو على غيره". (٢)

وفي المعجم الوسيط: "أصل الشيء أصلًا: استقصى بحثه حتى عرف أصله. وأصل الشيء: جعل له أصلًا ثابتًا يُبنى عليه. والأصالة في الرأي جودته، وفي الأسلوب: ابتكاره، وفي النسب عراقته، وأصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه. والأصول: أصل العلوم وقواعدها التي تبنى عليها الأحكام والنسبة إليها أصولي" (٣)

وأرى ان كلمة أصولية، في المعاجم اللغوية العربية، لا توجد بشكل مباشر، لكن جذر الكلمة "أصل" هو المتداول بشكل كبير، ومن جذر الكلمة تشتق كلمة أصولي وأصولية. وأصل الشيء هو أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه. ولعل سبب غياب الكلمة عن المعاجم اللغوية العربية، على عكس ما هو ظاهر في المعاجم الأجنبية، أن الكلمة في العربية لم تأخذ ذات المدلولات في نظيرتها الغربية، إذ هي في الغرب حركات وتنظيمات اتخذت أبعادًا اجتماعية وثقافية وسياسية، في حين كانت في العربية بعد تبلورها بشكل كبير وظهورها، كلمة لها مدلولات ظلت في إطارها الفكري والتنظيري.

الموسوعات الأجنبية، كانت أكثر تفصيلًا في شرح الأصولية؛ "لفظ الأصولية مشتق لغويًا من (أصول)، واللفظ ترجمة للفظ إنجليزي هو Fundamentalism، وهو مشتق من كلمة Foundation بمعنى أساس، يقول إشعياء النبي: "هأَنَذَا أُؤَسِّسُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرًا، حَجَرَ امْتِحَانٍ، حَجَرَ زَاوِيَةٍ كَرِيمًا، أَسَاسًا مُؤَسَّسًا: مَنْ آمَنَ لاَ يَهْرُبُ". (إش ٢٨: ١٦)"(٤)

الأصولية في الغرب "هي حركة ظهرت من داخل المذهب البروتستانتي Protestant doctrine في القرن العشرين في أمريكا؛ بهدف الدفاع عن صلاحية المعتقدات المسيحية التقليدية (يُقصد بالأفكار التقليدية، ما يُعد ثوابت الإيمان المسيحي، الذي سيُحدد في ٥ نقاط بعد ذلك)، في مواجهة أفكار الحداثة Ideas Of Modernity؛ بعدما حظيت تلك الأفكار بقبول العديد من الطوائف المسيحية من داخل المذهب البروتستانتي. وتعادي الأصولية الهيئات الكنسية التي تدعم الأفكار غير التقليدية. وفي الاستخدام الشعبي والصحفي يستخدم

المصطلح للإشارة إلى الإنجيلية Evangelical. وأخيرًا تم استخدام مصطلح الأصولية، لتغطية الحركات والتوجهات المحافظة في الأديان كافة.

بحلول أوائل القرن العشرين كان العديد من قادة المذهب البروتستانتي، والوعاظ البارزين، وكذلك أساتذة علم اللاهوت، يدعمون النظريات الحديثة، بينها "نظرية التطور" the theory of Evolution لتشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin 1809/1882، والنظريات الحديثة جلها كان يسعى لتطبيق المذهب النقدي على القصص والأحداث الموجودة في الكتاب المقدس، خاصة قصة التكوين، إلى جانب تشكيكهم في ألوهية المسيح، والثالوث المقدس، وإعطائهم الأولوية للإنجيل الاجتماعي ضد الكرازة التقليدية the priority of the social gospel over against traditional evangelism التي لم يعد فكرها مناسبًا".(٥)

يعتقد المحافظون Conservative أن أفكار الحداثة، تهدد جذور الحياة المسيحية، وتنكر سلطة الكنيسة، رغم أنهم أكدوا أن المسيحية لا تعارض العلم الحقيقي. ومنذ ذلك الوقت وبدأ المحافظون في محاربة الأفكار الجديدة؛ بسلسلة من المحاكمات للذين يعتنقون تلك الأفكار، وكان من بين الذين تم إقصائهم من قبل قادة الكنيسة، الأستاذ في كلية الاتحاد اللاهوتي، تشارلز أ بريجز Charles A.Briggs 1814 – 1913، إذ قام مجلس الكنيسة العام ١٨٩٣ بإبعاده عن الخدمة.

"لقد كان من بين جهود الكنيسة في مناهضة أفكار الحداثة، وتحديدًا العام ١٩١٠ إصدار الكنيسة المشيخية The Presbyterian Church ورقة من خمس نقاط؛ وطالبت الوزراء التأكيد عليها وهي (ألوهية المسيح وولادته من أم عذراء – قدسية الكتاب المقدس وأنه مُحى به – الإيمان بنظرية الفداء وموت المسيح كذبيحة لتحقيق العدالة الإلهية – قيامة المسيح الجسدية ومجيئة الثاني – أداء المسيح للمعجزات خلال خدمته الأرضية). لكن رغم جهود المحافظين، أخذت أفكار الحداثة في الانتشار في العديد من الكنائس القديمة، فيما ظل المسيحيون المحافظون ينظمون لقاءات فيما بينهم؛ لتأكيد إيمانهم والتمسك بالأصول الخمسة المسيحية.

وكانت هناك جهود أيضًا قبل العام ١٩١٠، ففي العام ١٩٠٩ قام الأخوان ليمان وميلتون ستيوارت (Lyman and Milton Stewart)، وكلاهما من رجال النفط الأثرياء، بالإنفاق على إنتاج وتوزيع مجموعة مكونة من ١٢ مجلدًا تتضمن المقالات المسيحية المحافظة،

بعنوان الأساسيات The Fundamental شهادة الحقيقة S:A Testimony Of Truth وقد تم إرسال أكثر من ٣ ملايين مجلد بالبريد مجانًا إلى الوزراء في جميع أنحاء العالم الناطق باللغة الإنجليزية. وبحلول الحرب العالمية الأولى، ومع انقسام البروتستانتية لطوائف، جميعها مختلف حول القضايا المتعلقة بقضايا الإصلاح، اتحد المحافظون وشكلوا هوية متحدة ضد أفكار الحداثيين، ومن أشكال اتحادهم الرابطة العالمية للأصول المسيحية World Christian Fundamentals Association، التي عملت على نشر أصول المسيحية". (٦)

"يعد القس المعمداني، الصحفي كيرتس لي لوز (Curts Lee Laws 1868/1946)، أول من صاغ مصطلح أصولي في افتتاحية كتبه العام ١٩٢٠. وتعهد خلال حضوره "مؤتمر الأصول" في مدينة "بوفالو" إحدى مدن ولاية نيويورك الأمريكية، بأن المؤمنيين سيخوضون معركة حامية الوطيس؛ من أجل الحفاظ على أصول المسيحية. وحضر المؤتمر خليط متنوع من بروتستانت أميركا الشمالية: ممن ينتسبون إلى نزعة (الملك الألفي* The Millennium King) ومن غير المنتسبين إليه. اقترح (لي لوز Lee Laws) خلال مؤتمر "الأصول" أن الذين ما يزالون متشبثين بالأصول الكبرى، وينوون أن يكافحوا فعلًا من أجلها، ينبغي أن يسموا أصوليين. ومنذ العام ١٩٢٠ عمَّ استعمال المصطلح". (٧)

"يقول الكتاب والمؤرخ (كينث سكوت لاتوريت Kenneth Scott Latourette) إن البروتستانتية الأمريكية، بدأت في الانتشار على صعيد واسع في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتوسعت أكثر في القرن ١٩، لتكون في قمة قوّتِها الظاهرةِ وتأثيرِها، حيث ناقشت قضايا إنسانية ملحة، بينها كيفية الفوز بإيمان السيد المسيح بعيداً عن الأفكار المثالية الأخلاقية Moral Idealism، وتَعاونت الطوائف البروتستانتيةُ وشكلوا استراتيجية لنشر المذهب وتمكنوا من جمع نحو مليار دولار لخدمة أهدافهم، لكن فشلوا في بداية الأمر وكان لهذا الفشل أسباب كثيرة". (٨)

"خلال أربعينيات القرن العشرين ظهرت مجموعة من الإنجيليين Evangelicals واجتمعوا في الرابطة الوطنية للإنجيليين The National Association Of Evangelicals، بينما أسس الأصوليون المجلس الأمريكي للكنائس المسيحية American Council Of Christian Churches في العام ١٩٤٨، وأسسوا المجلس الدولي للكنائس المسيحية International Council Of Christian Churches. وتلقت الأصولية دفعة ودعمًا من

مجموعة من رجال الدين، بينهم القس الأمريكي الأصولي جيري فالويل Jerry Dalwell 1932/2017، وهو راعي ومؤسس كنيسة (توماس رود Thomas Road) المعمدانية، في ليشنبرج في فيرجينيا، وهو مؤسس جامعة ليبرتي، ورئيس زمالة الحرية المعمدانية. وهو معروف بآرائه المتشددة والمهاجمة لليبراليين والإسلام والسود والمثليين ونشطاء المرأة، ومنظمات المجتمع المدني.

ومن بين الذين دعموا الأصولية خلال تلك الفترة أيضًا، رجل الدين المسيحي تيم لاهاي، Tim La Haye 1926، وهو معروف بنشاطه التبشيري والسياسي، وقد لعب دورًا في دعم التيار الأصولي، هو وزوجته بيفري لاهاي Beverley La Haye 1930. وهما شخصيتان رئيسيتان في اليمن الديني، وأسسا عددًا من الكنائس والمدارس المسيحية، في كاليفورنيا، كما نشطا في الأعمال التنصيرية المتعلقة بالنبوءات الموجودة في الديانة المسيحية حول قرب عودة المسيح، ونهاية العالم. كما ساهما في دعم وتأسيس مؤسسات اليمين المسيحي، مثل مؤسسة الصوت المسيحي، العام ١٩٧٨؛ لحشد أصوات المسيحيين المتدينيين في الحياة السياسية الأمريكية، كما أسسا منظمة مجلس السياسات الوطنية؛ وهي جماعة ضغط محافظة أسست العام ١٩٨١. حقق لاهاي شهرة واسعة بتأليفه سلسلة روايات دينية تعرف باسم (المتروكون خلفًا) Left Behind العام ١٩٩٦، وهي تجمع بين النبوءات الدينية وبراعة الروايات البوليسية". (٩)

مما سبق يتضح أن الأصولية المسيحية البروتستانتية هي ردة فعل ناتجة عن مشروع الحداثة. الأصوليون استشعروا الخطر الوجودي جراء اتساع رقعة نفوذ مشروع الحداثة؛ الذي يترتب عليه نقد القيم المجتمعية والدينية التي كانت تمثل هوية دينية وقومية للأصوليين. ولعل هذا ما يفسر انتقال الفكر الأصولي من الاهتمام بقضايا لاهوتية تخص المذاهب البروتستانتية إلى حركة احتجاجية ذات أبعاد سياسية واجتماعية.

بتحول المذاهب الأصولية لحركات احتجاجية، ذات أبعاد سياسية واجتماعية؛ أصبح العنف سمة رئيسية بين الأطراف كافة. لكن إذا كان الأصوليون يبررون لجوئهم إلى العنف لفرض مذهبهم، كما سنرى لاحقًا، فكيف يبرر الحداثيون لجوئهم أيضًا للعنف كرد فعل على سلوكيات الأصوليين؟

هنا تكمن المفارقة، "إذ كيف ترفع الليبرالية مبدأ أن الآخرين أحرار ومتساوون أخلاقيا وقانونيا، ويُتطلب احترام حدودهم والامتناع عن مطالبتهم بأن يؤيدوا معتقدات ليس لديهم

أسباب لدعمها، حتى وإن كانت معتقداتهم غير مبررة، وبغيضة، وأن الاستقلالية الكاملة في اختيار القيم جزء مما يعنيه أن تكون حرًا، ومع ذلك يلجا التيار إلى العنف أيضًا ضد خصومه". (١٠)

"أليس من المفارقات أن يتم إجبار فرض القيم الليبرالية على الأصوليين؟ حتى وإن كان لدى الأصوليين أسبابهم الخاصة لدعم معتقداتهم، أليس ذلك انتهاكًا لاستقلاليتهم؛ لإجبارهم على التصرف بطريقة تتعارض مع تلك المعتقدات؟ وربما الأمر الأكثر مدعاة للقلق، هو تحويل هذه المناقشات الأخلاقية إلى شؤون عامة، وهو أمر يعد انتهاكًا لحياد الدولة. كما أن الصراع الأخلاقي هو غير قابل للحل، والجميع أحرار في اختيار انحيازاتهم الدينية، لذلك لو انخرطنا في صراع أخلاقي، ألن يكن ذلك غير مجدي؟". (١١)

"يقول جون ستيوارت ميل John Stuart Mill 1806/1873، في مقال (On Liberty)، الذي نشره العام ١٨٥٩ يجب أن نكون أحرار في السعي وراء مصلحتنا بطريقتنا الخاصة، طالما لا نحاول حرمان الآخرين من حريتهم في فعل الشيء نفسه. وإذا كان الأمر كذلك، فعندما يعبر الأصوليون حدود الاستقلال الذاتي الأخلاقي للآخرين – كما يفعلون غالبًا – يكون المجتمع المدني الليبرالي والدولة الليبرالية مبررين تمامًا في الرد، إما من خلال النقد العلني أو القوة القسرية، اعتمادًا على خطورة المسألة". (١٢)

أرى أن التيار الليبرالي هو الآخر يعطي نفسه الحق في مواجهة الأصوليين حتى ولو بالقوة القسرية، بحجة أنهم يتغولون على حياة الناس الشخصية، لكن إذا ما أقررنا هذا المبدأ فإن الأمور في طريقها إلى العنف والعنف والمضاد؛ لكون الجماعات الأصولية غالبيتها يجنح للعنف. إن المعيار الأساسي في القضية هو الاحتكام إلى مواد دستورية عصرية تؤمن بقيم المواطنة والديموقراطية والتداول السلمي للسلطة فضلًا عن المادة الأهم وهي فصل الدين عن الدولة.

ب – أزمات الحداثة وانبعاث الفكر الأصولي

إن الأصولية هو تيار ومذهب ظهر كردة فعل للحداثة، أو تحديدًا لأزمات الحداثة، لكن كيف أخفقت الحداثة أو تأزمت إلى الدرجة التي يظهر الفكر الأصولي بوصفه ردة فعل لهذا التيار، بل ويعد أن بإمكانه الحل. إن لأصولية نزعة تعكس رغبة تيار وحركة تتوق إلى اليقين؛ عبر الاعتماد على العودة إلى أساسيات الإيمان، التي غيبتها الحداثة، بعدما تركت عن عمد أسئلة مفتوحة من دون إجابات، وأنكرت إمكانية وجود حقيقة مطلقة؟ لقد نجح

التيار الأصولي مع الوقت في بلورة فكره، بل شكل هوية قومية له، بررت تشددهم وعنفهم ضد الآخر، ومارست هي الأخرى أدوارًا استعلائية وتسلطية على الإنسان.

ولا شك أن غياب المعنى والقيمة الذي بدء المواطن الغربي الاستشعار به؛ نتاج التطورات الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي فرضتها الحداثة، جعلت تيارات وأيديولوجيات جديدة تسعى لشق طريقها؛ لملء الفراغات الذي أحدثتها الحداثة بقصد أو غير قصد. الشيوعية، والنازية، والقومية، والأصولية، وأيديولوجيات أخرى، بدأت في شق طريقها عبر القارة العجوز في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وسعت إلى تزويد الإنسان بالمعنى والقيمة، كل على حسب توجهه، فالشيوعية سعت إلى الانتصار إلى طبقة البروليتاريا، والنازية لسيادة الجنس الآري**. إن غياب المعني والقيمة، وانتشار الفكر العدمي، جعل المجتمع في خطر حقيقي، وأظهر أيديولوجيات وتيارات حاولت سد فراغ غياب الإله الذي سقط من أفكار الحداثة، أو صار رقمًا مهمشًا.

إن الحداثة فكرة نقدية، تنادي بالنقد المفرط، وقوامها العقلانية والفردية في وقت واحد. وتفرض نفسها كفكرة منظمة تتعارض مع كل ما هو تقليدي. لكن المُثل التي راهنت عليها فلسفة الأنوار، فشلت، فلا الحضارة ولا التقدم أصبحا عالمين، فالليبرالية والحرية الاقتصادية زادت من إفقار العالم الثالث، وتسببت في كوارث تاريخية كالحروب والبطالة والمجاعة، كما أن سلبياتها انعكست حتى على المجتمع الغربي ذاته؛ دفعته نحو الرفاهية الزائدة، ما أدى لخروجه من مجتمع الإنتاج إلى مجتمع الاستهلاك. "لقد كانت الحداثة سمة خاصة بالحضارة الغربية، فهي المدخل إليها؛ إذ تدل على التقدم والتطور وشمولية العقلانية والثورة التكنولوجية، أما اليوم فهي تدل على عكس ذلك. ثمة شيء ما يحدث، لم يعد للتقدم المعنى الذي كنا نعطيه إياه، كما أن ما هو تقليدي وماضوي، والذي كبتته العقلانية مثل السحري والأسطوري والعجائبي في الثقافات غير الأوروبية، أخذ اليوم يجتاح المجتمعات الغربية".(١٢)

يرصد آلان توران صورًا من أزمات الحداثة فيقول: "الحداثة فرضت شكلًا من أشكال التسلطية على المرء، فعلى مستوى العمل حطمت الاستقلال المهني للعمال، وأخضعتهم لإيقاع وأوامر؛ لتحقيق الربح، غير مبالية بالواقع الفسيولوجي والنفسي والاجتماعي لإنسان العمل. فمراكز الحداثة استحوذت على العديد من المصادر المتاحة، وتحكمت تمامًا في العالم بأكمله ... حولت العالم لمستودعات للمواد الخام، واليد العاملة، وأراضي للمناورات

العسكرية، ومسطحات مغطاة باللعب المحفوظة، وبرامج التلفزيون. والأغلبية لم تعد تقنع بالتعارض الذي كان يتم في الغالب بين الماضي المظلم والمستقبل المضيء بل والساطع". (١٣)

"هذا القرن المسمى بقرن التقدم قد نظر إليه، في أوروبا على الأقل، على أنه قرن الأزمة وفي كثير من الأحيان قرن الانحطاط والكارثة. ألم يرافق الدفعة الكبرى للتصنيع الغربي وعلى الأخص في ألمانيا وفينا في نهاية القرن التاسع عشر حركة ثقافية واسعة لنقد الحداثة؟ ثم بعد ذلك بنصف قرن، عندما جاءت الفترة التي يسميها جان فوراستي Jean Fourastié "الثلاثين المجيدة" ألم يسودها في فرنسا الفكر المعادي للحداثة والمتشائم جدًا لاتباع نيتشه، وعلى رأسهم ميشيل فوكو Michel Foucault ، بعد أن تأثر هذا الفكر بالنقد الجذري لجان بول سارتر؟ من المستحيل أن نجد مثقفًا واحدًا ذا شأن يكون قد تغنى بالحداثة، وحتى ريمون آرون Raymond Aron نفسه، أقرب من يلعب هذا الدور، قد أقر دائمًا بأولوية مشاكل الحرب والسلام على مشاكل الإنتاج والتوزيع. ولأنه كان مفكرًا سياسيًا أكثر منه عالم اقتصاد، لم يستطع أن ينأى بنفسه عن التشاؤم السائد الذي كان يبرر في نظره الحرب الباردة وتزايد الأنظمة الشمولية". (١٤)

وأرى أن التأثيرات السلبية للحداثة في أوروبا لم تتوقف فقط على الجانب النفسي والوجداني للإنسان، وتفقده شهوة امتلاك الحقيقة، وامتلاك إجابات تتعلق بمصيره، كما سنبين في السطور المقبلة، لكن تلك التأثيرات امتدت لتُحدث فروقًا اجتماعية، ومشكلات جذرية في بنية المجتمع تتعلق بتوزيع الثروات، وأنماط الإنتاج، وأشكال السلطة التي ستتولد من رحم تلك التغييرات، فضلًا عن التغييرات الثقافية. إذن التطرف والمغالاة في الشيء لطالما يقلب الأمور إلى ضدها. الحداثيون حينما اهتموا فقط بالجانب العقلي، كادت الروح التي تتمسك بالحصول على إجابات لأسئلتها الوجودية أن تصل إلى مرحلة اليأس، وكذلك التيارات الدينية وبخاصة الأصولية منها، التي وعدت الإنسان بتقديم إجابات تتعلق بمصيره، مارست أدوارًا تسلطية، وفرضت أشكالًا من التبعية، تسلب الإنسان أقل حقوقه.

وبرواج أفكار فريدريك نيتشه (١٨٤٤/١٩٠٠) Friedrich Nietzsche، ومارتن هيدجر (١٨٨٩/١٩٧٦) Martin Heidegger، انتشر الفكر التشاؤمي، الرافض لوجود حقيقة ثابتة، وأن النسبي لابد أن يحل محل المطلق، فاتجه الفكر نحو السيولة، ورفض الأفكار الثابتة، وتوجيه النقد إلى كل شيء بما في ذلك الثوابت الإيمانية. ولعل رواج تلك الأفكار،

هيأ نشوء المذهب الأصولي، الذي يدعي إمكانية فوز الشخص بالحقيقة المطلقة، ووعده بإعادة الثقة له فيما يعتقد، وكذلك بتقديم أجوبه شافية لأسئلة الإنسان الوجودية.

لقد هيمنت أفكار نيتشه العدمية Nihilism لفترات تاريخية في أوروبا، وتعد أفكاره عن موت الإله، واحتقاره للحياة، وإسقاطه جميع القيم العليا، من أبرز أشكال العدمية. والعدمية بمعناها المطلق، هي الاعتقاد بأن الحياة لا معنى لها، وأن هناك رفض لجميع الأفكار والمعتقدات الدينية، والأخلاقية، فيصبح وجود الإنسان، عديم القيمة وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي. ولقد سادت أفكار موت الإله إلى الدرجة التي تشكلت فيما بعد، حركة اجتماعية لاهوتية تسمى "موت الإله"، وهي حركة تبناها علماء لاهوت، وهذا ما قد يفسر لنا الصراعات داخل الطائفة البروتستانتية، وظهور جماعة من المحافظين دشنوا المذهب الأصولي.

في كتاب "أفول الأصنام" يقول نيتشه: "لقد حمل أعظم الحكماء، في كل عصر نفس التصور عن الحياة: إنها عديمة القيمة... لما يقولونه عنها، دائمًا وفي كل مكان، نفس النبرة، نبرة شك، كآبة مبهمة، ضجر من الحياة، مقاومتها. سقراط نفسه، لحظة احتضاره، قال ما الحياة سوى مرض عضال ... سقراط نفسه كان قد أنف من الحياة". (١٥)

لقد تجاوز نيتشه أيضًا يقينية (العقل والفكر)، إلى جانب (عدم ضمانة الله)، وجعل ما يسمه (الإنسان الأعلى) ضمانة الحكم على الأشياء؛ "فهو يقبل الوجود حتى لو لم يكن سوى وهم، ويجعل الاعتقاد بالعقل اعتقادًا أخر ليس إلا. فيرفض بهذه المواقف ضمانة الله، جاعلًا الحقيقة في الذات، رافضًا أن تكون الأخيرة عقلًا، مهيئًا لمفهوم الفرد (الإنسان الأعلى) كضمان وهدف وحيد للوجود". (١٦) ويمضي نيتشه في تمجيده لما يسمه "الإنسان الأعلى"؛ إذ يجعله في موازة الإله أو بديله، بإعلانه "موت الإله"، فيقل في كتاب "هكذا تكلم زرادشت": "أيها الإنسان الأعلى، تعلم مني. في السوق لا أحد يؤمن بالإنسان الأعلى. إذا أردت أن تتكلم هناك فاذهب، ولكن الغوغاء تغمز وتقول: نحن جميعًا متساوون... أيها الإنسان الأعلى – هكذا تغمز الغوغاء – لي ثمة إنسان أعلى. فالإنسان هو الإنسان. وأمام الله نحن متساوون.. أمام الله! ولكن الآن الله قد مات... دعونا نرفض أن نكون متساوين أمام الغوغاء". (١٧)

وأرى أن الإنسان الأعلى بحسب نيتشه لا يتحقق إلا إذا كان الله قد مات. فمفهوم "الإنسان الأعلى" عنده يرتبط بالتحرر الكامل للإنسان من الأخلاق والأديان، وحتى من الأفكار

الفلسفية السابقة كافة – الأمر الذي يؤدي، بحسب نيتشه، إلى تحرير القوى اللاعقلانية في الإنسان؛ الأمر الذي يستوجب، بدوره، ما سمَّاه نيتشه بـ"قتل الإله" أو قتل الرب. لذا دعا نيتشه إلى القيام بأفعال خارجة عن نطاق الأخلاق للحصول على" التحرر الكامل".

إن هدف نيتشه من إعلانه "موت الإله"، أو قتله، هو إسقاط القيم العليا كافة. فنيتشه لم يكن يعني أن هناك إلهًا وقد مات فعليًا، بل إن فكرتنا عن الإله هي التي ماتت، وبالتالي اعتمادنا عليه لم يعد له داعي. أصبحت الفكرة التي تحكم الكون بعد عصر التنوير، القوانين الفيزيائية وليست العناية الإلهية. حتى الحكومات لم تعد بحاجة إلى الالتفاف حول فكرة الحق الإلهي؛ كي تكتسب شرعية وجودها، وإنما باتت تكتسبها من خلال النظم السياسية الجديدة التي نظمت عملية الاقتراع الشعبي. كل هذه النظريات الكبيرة، والمتسقة يمكن أن توجد بدون الرجوع إلى الإله. بالتالي لم تعد أوروبا بحاجة إلى الإله كمصدر ومرجعية للأخلاق أو القيمة أو النظام في الكون، بل كانت الفلسفة والعلوم قادرتين على فعل ذلك.

"بالنسبة لنيتشه، يمكن تلخيص مجمل قضيته العدمية، في موت الآلهة، أو في سقوط القيم العليا. بالنسبة لهيدجر، يعدم الوجود ذاته باستحالته كليًا إلى قيمة. ينبني هذا التوصيف للعدمية عنده على نحو يتضمن "العدمي المكتمل"، الذي هو فريدريك نيتشه. من جانب آخر، بالنسبة لهيدجر يبدو أن هناك تجاوزًا للعدمية ممكن ومرغوب به، بينما يكون إنجاز العدمية لدى نيتشه هو كل ما ينبغي أن نتوقعه أو نأمل به. فإن اتخذنا موقعنا في منظور نيتشوي أكثر منه هيدجري، فإن هيدحر هو نفسه يدخل في إطار تاريخ هذا الإنجاز، وعندئذ تبدو العدمية وكأنها ليست إلا الفكر الميتافيزيقي الأقصى الذي يبحث عنه". (١٨)

لقد أثرت أفكار نيتشه في الكثيرين من باحثي (علم اللاهوت)؛ بحكم أن علم اللاهوت محوره الله، وعلاقته بالعالم والإنسان، وحديث نيتشه عن الإله وموته هو ما جعل له هذا التأثير. "فريدريك نيتشه أعظم مفكر أثر في علم اللاهوت، وبدا ذلك بهجومه على المسيحية" (١٩).

"أفكار نيتشه دشنت (حركة لاهوت موت الإله) وهي حركة تميزت عن الحركات اللاهوتية الأخرى بأنها حاولت أن تكون جماهيرية، ولهذا كانت منتجاتها رخيصة الثمن. ومع ذلك فإنها لم تستمر إذ توقفت عند السبعينات من القرن الماضي مع بزوغ الأصولية المسيحية كحركة جماهيرية". (٢٠)

"حركة لاهوت موت الإله" ظهرت في ستينيات القرن الماضي، أو على وجه التحديد بعد موت نيتشه بحوالي ستين عاما. ففي مارس عام ١٩٦٣ صدر كتاب للأسقف وولوش جون

روبنسون Walsh John Robinson عنوانه (لنكن أمناء إلى الله). صدرت منه تسع طبعات في ذلك العام منها أربع طبعات في شهر مارس. وصدرت منه ٣٥٠ ألف نسخة، وقبل صدوره بأسبوع نشر روبنسون مقالا في جريدة «Observer» تحت عنوان (إن صورتنا عن الله يجب أن تزول)، أما الكتاب فيدور كله حول الدليل على ضرورة زوال مفهوم الإله المفارق أو الإله الذي هو هناك أو الموجود الذي هو فوق؛ لأن هذا الإله قد مات". (21)

"وفي عام ١٩٦٦ أصدر توماس ألتيزر Thomas J. J. Altizer كتابه الضخم المعنون (إنجيل الإلحاد المسيحي)، جاء فيه: "إن الله قد مات في زماننا هذا وفي تاريخنا، وفي وجودنا وأن نيتشه قد اقتضى هذا المفهوم في القرن التاسع عشر، وبقي على اللاهوتيين في القرن العشرين التبشير بهذا الحدث وسط الجماهير على الإطلاق، والجماهير المسيحية على التخصيص. ذلك أن المفهوم التقليدي عن الله من حيث هو مستقل عن العالم المخلوق ليس إلا مؤقتًا من أساليب التفكير، وإسقاطا للاغتراب الذي يعاني منه الإنسان مع ذاته، وقد جاء الأوان للتحرر منه، وإننا في حاجة إلى إيمان جديد ينبع من تصورنا أن الله متطور وفي حركة دائمة. هذا الإيمان الجديد ينفي المفهوم الكلاسيكي عن الله". (22)

"في عام ١٩٦٦ نشر وليم هاملتون William Hamilton كتابًا مع توماس ألتيزر عنوانه (اللاهوت الراديكالي وموت الله)؛ ويرى هاملتون – على الضد من ألتيزر – أن المسألة ليست مسألة تحديد موت الله عند فترة معينة في التاريخ وإنما المسألة تقف عند حد أن موت الله هو حدث تاريخي ثقافي تم في أوروبا وأميركا في القرنين الأخيرين، وما على الإنسان إلا التكيف مع هذا الحدث، وقبول الموت التاريخي الثقافي لله لأنه لم يعد صالحًا لتحريره من القلق واليأس. مع ذلك فإن هاملتون لم يفقد الثقة في عودة الله بشرط أن يؤدي دورًا جديدًا". (23 ذلك بول فان بورن Paul Van Born الذي يسير في اتجاه لاهوت موت الله، ولكن استنادًا إلى التحليل اللغوي وذلك في كتابه المعنون (المعنى العلماني للإنجيل)، فهذا القس البروتستانتي يرى أن القضية التي تقول إن الله موجود هي بلا معنى في ضوء مبدأ التحقيق الذي يشترط مطابقة القضية للمعطيات الحسية لكي يكون لها معنى. ومن ثم فهو يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه نيتشه، إذ إن لفظ الله لم نعد في حاجة إليه لأنه بلا معنى". (24)

أرى أنه مع نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت النظريات العلمية والفلسفية، أكبر تهديد للأيديولوجيات والسرديات الكبرى، المرتبطة بالدين، والتي كانت تقدم نفسها على أنها قادرة على تخليص الإنسان، ورسم طريق له إلى الخلد، لكن الأمور انقلبت إلى ضدها؛ فعلى

الرغم من أن النزعة العلمية العقلانية عكفت على تفكيك السرديات الكبرى، وتحليل الأسطورة – المصدر الرئيس للحكايات الدينية – وقدمت نفسها بوصفها القادرة على أن توصل الناس إلى الحقيقة، لم تتمكن من تقديم إجابات مقنعة للإنسان عن الأسئلة المصيرية والمُطلقة، فعاود الناس لينشدوا خلاصهم بالعودة إلى الأديان التراثية. هنا برزت الأصولية التي لعبت على أزمات الحداثة، وقدمت نفسها بوصفها القادرة على تقديم إجابات مقنعة للإنسان.

وقبل انتشار حركة "لاهوت موت الإله"، كان قد شاع استعمال الأساليب العلمية القائمة على المنهج التجريبي، وما تبع ذلك من استعمال مناهج نقدية على العلوم الانسانية (من ضمنها الدين)، كردة فعل للمشروع الحداثي في أوروبا. وعكف دارسو الدين ومختصو الديانات، على العمل على تخليص الكتاب المقدس من الدوغما (الوثوقية) الدينية؛ عبر إخضاع النصوص الدينية لمناهج نقدية لغوية تاريخيه لقياس صحة وتطابق هذه النصوص مع العلم الحديث مما أدى إلى اعتبار الكتاب المقدس على أنه كتاب أو معلومات حصلت في تاريخ معين وليس على أنه كتاب موحى حرفياً من الله.

"العالم الألماني فرنناند بور ١٧٩٢ – ١٨٦٠ Ferdinald Baur قام بنقد العهد القديم وتاريخ الإسرائيليين، وحياة السيد المسيح حسب المناهج العلمية النقدية الحديثة؛ بغرض إعادة النظر بالمسائل المتعلقة بهم، وفعلاً قام بنقد العهد القديم من خلال هذه المناهج النقدية الحديثة الجديدة ليصل إلى نتيجة أن جزءاً كبيرًا من العهد القديم المنسوب إلى موسى لم يمت بصلة إلى موسى بل على عكس ذلك تمت كتابته بعد موسى بزمن طويل.

ونشر ديفيد شتراوس ١٨٧٤– ١٨٠٨ David Strauss كتابه حياة المسيح، وادعى أن دراسته قد بينت أن الأناجيل الأربعة لا تعكس ولا تعطي تصورًا حقيقياً عن حياة المسيح بشكل صحيح وثابت ... وأن المعجزات في الأناجيل ينبغي أن يتمّ فهمها باعتبارها أساطير، ليس لها علاقة بالتاريخ، وبالتالي فإن التعاليم والمبادئ في الديانة المسيحية متغيرة وليست ثابتة، بمعنى أن هذه التعاليم يجب أن تفهم في سياقها التاريخي، وبالتالي يمكن للأجيال اللاحقة أن تستعمل عبارات وجملًا جديدة لكي تعبر عن نفس التجربة. فلاهوت العهد القديم غير ملزم لإنسان العهد الحديث، ولكن هذا لا يعني عدم الاكتراث والاهتمام بهذا اللاهوت القديم، ولكن يعني أن هذه التعاليم ليست أساس الدين أو ليست من ثوابته". (25)

كل ذلك أدى إلى عدم الإقرار بقدسية الكتاب المقدس، وأنه ليس كلام الله أو وحي منه، بل أصبح وكأنه كتاب كُتب على يد أفراد عاشوا في تلك الجغرافيا في ذلك الزمان، وعليه

أصبحت طبيعة السيد المسيح البشرية والإلهية محل نقد الدارسين، ولا يمكن القبول بها إلا بعد التحليل والنقد العقلي.

الكاتبة والمؤلفة البريطانية، كارين آرمسترونج ١٩٤٤ Karen Armstrong، تقول: "ما إن حلت نهاية القرن التاسع عشر، حتى غدا واضحًا أن المجتمع الجديد الذي وصل أخيرًا إلى مرحلة الإثمار في الغرب، لم يكن الدواء الكوني كما تخيله البعض؛ فنزعة التفاؤل الديناميكي التي ألهمت فلسفة هيجل ١٨٣١/١٧٧٠ Georg Wilhelm Friedrich Hege قد أفسح المجال إلى شك وقلق محيرين، فمن ناحية كانت أوروبا تنتقل من قوة إلى قوة، وتستشعر إحساس بالثقة والسيادة بهيج، وكانت الثورة الصناعية تجلب لبعض الدول القومية مزيد من الثروة والقوة ... لكن السمات المميزة لهذه الحقبة هي العزلة والسأم والتشاؤم كما اكتشفها شارل بودلير (١٨٢١-١٨٦٧) Charles Baudelaire في رواية "الأزهار الشر ١٨٥٧"، وكان الشك المرضي الذي عبر عنه ألفرد تيتيسون ١٨٠٩- ١٨٩٢ Alfred Tennyson في "الذكريا ١٨٥٠"، والإعياء المدمر، وعدم الرضا اللذان أحست بهما بطلة فلوبير في روايته (امدام بوفاري ١٨٥٦). لقد شعر الناس بخوف مجهول المصدر، ففي الوقت الذي كان الناس يحتفون فيه بإنجازات المجتمع الحديث كانوا في الوقت ذاته – يشعرون بالفراغ والخواء جعلا الحياة من دون معنى، وسيسعى الكثيرون إلى العثور على اليقين وسط إرباكات الحداثة، بينما أسقط البعض مخاوفهم على أعداء وهميين، وهم وجود مؤامرة كونية". (٢٦)

تضيف آرمسترونج: "ستجد جميع هذه العوامل في الحركات الأصولية التي نشأت في جميع الأديان التوحيدية إلى جانب الحضارة الحديثة. فالعيش من دون أن يحس الناس بأن الحياة لها معنى وقيمة نهائيان، ضرب من المحال. ففي العالم القديم، ساعدت الميثولوجيا والطقسي الناس على استحضار إحساس بمغزى مقدس كان ينقذهم من الخواء والفراغ، مثلما فعل الكثير من الأعمال الفنية العظيمة، لكن النزعة العلمية العقلانية – التي هي مصدر قوة الغرب وسر نجاحه – قد قللت من شأن الأسطورة، وأعلنت أنها وحدها هي القادرة على أن توصل الناس إلى الحقيقة. مع ذلك لم يستطع العقل مخاطبة المسائل المطلقة". (٢٧)

"لقد كشف سيجموند فرويد (١٨٥٦.١٩٣٩ Sigmund Freud) أن رغبة مميتة تحرك البشر بقوة، بقدر ما تحركهم من أجل الجنس والتكاثر. ففي الحضارة الحديثة يطفو على السطح حنين جموح ظاهر، وخوف من الانقراض. بدأ الناس ينكمشون من الحضارة التي

أوجدوها وفي الوقت ذاته كانوا ينعمون بالفوائد غير المشكوك فيها التي أسبغتها هذه الحضارة عليهم. لقد عاش معظم الناس في الغرب بصحة أفضل، وحياة أطول، وكانت مؤسساتهم الديمقراطية تعني لمعظمهم أن الحياة كانت أكثر إنصافًا ... لكن الحلم بالأخوة العالمية الذي دعا إليه مفكرو عصر التنوير كان يتضح أنه مجرد وهم. فالحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠ – ١٨٧١) أوضحت الآثار المخيفة الناجمة عن التسلح الحديث. فبدأ يظهر إدراك مفاده أن العلم قد ينطوي على بعد ميت قاتل ... بعد الحرب البروسية الفرنسية بدأت الأمم الأوروبية سباق تسلح مسعور أدى إلى الحرب العالمية الأولى. كانوا يرون الحرب نوعا من ضرورة داروينية سيكون البقاء فيها للأصلح ... وحلم الأوروبيون بحرب سوف تطهر روح الأمة". (٢٨)

أرى أن الحربان العالميتان، الأولى في ١٩١٤ : ١٩١٨ والثانية ١٩٣٩ : ١٩٤٥، كان يُروج خلالها أنهما حربان تطهيرية؛ سيُولد من رحمهما أمة نقية؛ على غرار ما كان يُروج في أميركا، وتحديدًا خلال الحرب الأهلية التي اندلعت بين ولايات الجزء الشمالي وولايات الجزء الجنوبي، العام (١٨٦١ – ١٨٦٥)، إذ كان يُبشر رعاتُها بأمة جديدة. إلا أن هذه الحرب الدامية اتخذت بعدًا دينيًا، لعب البروتستانت – مذهب أنشأه مارتن لوثر ١٥٤٦/١٤٨٣ Martin Luther لمواجهة الكنيسة الكاثوليكية The Catholic Church وسلطتها الصارمة بجملة من الإصلاحات الدينية – دورًا رئيسًا في قيادة تلك الحرب.

"لقد رأي الأمريكيون الحرب الأهلية (١٨٦١ – ١٨٦٥) بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية في سياق رؤيوي. اعتقدوا أن الصراع سوف يطهر الأمة، وكان الجنود ينشدون عظمة الرب الآتي. وتحدث المبشرون عن حرب آرماجدون Armageddon قادمة، وعن معركة بين النور والظلام والحرية والعبودية، كانوا يتطلعون إلى إنسان جديد، وتوزيع جديد ينشأ من هذا الدرس الناري ... لكن لم يكن في أمريكا عالم جديد ... وما أن قاربت الحرب بلوغ نهايتها حتى كانت قد دمرت مدنًا بأكملها، وتشتت عائلات كثيرة"(٢٩)

الشاهد مما تم ذكره أنه خلال تلك الحرب الأهلية الدامية في أمريكا، لعبت كنائس البروتستانت المحافظين، في الولايات الجنوبية – إحدى عشر ولاية – دورًا في الصراع، مع الحكومة الكونفدرالية في الشمال، وبعيدًا عن أسباب الصراع، إلا أنه وفي ولايات الجنوب، وحينما بدأت حركة اجتماعية واسعة تطالب بضرورة التحرير وإسقاط العبودية، عكفت كنائس في الجنوب على وضع التبرير المناسب لهذه الظاهرة الاجتماعية على أسس دينية، مستندة

إلى أن الرق وارد في العهد القديم والجديد على حد سواء دون التحريم، وأن السيد المسيح لم ينه العبودية، وهذا شكل من أشكال تغول الفكر الأصولي، وتبريره أوضاع قائمة لحفظ مصالح اقتصادية، أو اجتماعية أو حتى شخصية.

جـ – محددات الأصولية: (متى تصبح الجماعة أصولية؟)

إن الأصولية كفكرة نشأت من رحم أزمات الحداثة المتتالية. والفكر الأصولي قبل أن يتحول إلى مذهب ديني يتمسك بأساسيات الإيمان، هو نمط في التفكير، يرفض التكييف مع ما هو جديد، بناء على منطلقات تتعلق بجموده الفكري وتصلبه، ومعارضته لكل نمو ولكل تطور. لذلك فإن الفكر الأصولي هو نمط في التفكير له ما يميزه ويبينه، قبل أن يكون مذهب ديني يتبلور ويصبح فيما بعد مذهبًا سياسيًا. إن مصطلح الأصولية، جذوره تعود إلى اليهودية والمسيحية الكاثوليكية، أي أن المصطلح ولد من رحمهما، لكنه تبلور أكثر بعد ظهور المذهب البروتستانتي، في أوروبا، وتحديدًا في نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين.

"لم تظهر كلمة أصولية، في اللغة والمعاجم إلا حديثًا جدًا، فهي لم تمثل سنة ١٩٦٦، في معجم "روبير الكبير"، ولم تظهر سنة ١٩٦٨ في الموسوعة العالمية Encyclopaedia Universalis، ويعرفها قاموس "لاروس الصغير"، سنة ١٩٦٦، بكيفية عامة جدًا: "موقف أولئك الذين يرفضون تكييف العقيدة، مع الظروف الجديدة". أما "لاروس الجيب" فيطبقها سنة ١٩٧٩ على الكاثوليكية وحدها: "استعداد فكري لدى بعض الكاثوليكيين الذين يكرهون التكيف مع ظروف الحياة الحديثة". سنة ١٩٨٤ عرفها "لاروس الكبير": موقف جمود وتصلب معارض لكل نمو أو لكل تطور ... ثم يضيف جاعلًا الكلمة تتعدى نطاق المجال الديني: مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي".(٣٠)

الكاتب إيان لوستك ينظر إلى الأصولية من خلال أبعادها الثلاثة المركبة: (الديني والسياسي والاجتماعي)، فيقول: "الأصولية كلمة أشيع استعمالها، ولكنها لا تستعمل هنا للدلالة على المبالغة في التدين، ولا للإحاء بصور التعصب، أو أساليب التفكير الساذجة، بل لتركز الانتباه على نوع معين من دروب السياسة، ولابد لذلك من تعريف الكلمة تعريفًا واضحًا، واستعمالها استعمالًا متماسكًا، فهي الرؤية التي تتخذ من الأصل، سواء كان الأصل دينيًا، أم سياسيًا، أم اجتماعيًا مرجعًا أساسيًا لها".(٣١)

أرى هنا أن شيوع استخدام مصطلح الأصولية في أعقاب العام ١٩٢٠، وتطبيقه على سياسة أوسع، وتعريفه بعبارات كافية العموم، أدى إلى قابلية تطبيق المصطلح على أي موروث ديني أو غير ديني، يمكن أن نميز فيه مجموعة من الأصول. ولا يوجد أي خطأ في تسمية الأشياء بالقياس إلى ما يماثلها؛ فللسان الإنساني قوة أساسية تجعله يستعمل كلمة من دون أن يكون خاضعًا بجمود إلى السياق الذي ظهرت فيه أول مرة، واللغات تتغير وتتطور. لكن لابد من وضع محددات كي نميز التيار أو المذهب الأصولي، أو بعبارة أخرى متى تصبح الجماعة أصولية؟ فالأصولي والمحافظ، من الممكن أن يتعادلا في ولائهما لموروثيهما الديني، لكن ما يُريدا فعله مختلف تمامًا.

مايكل كوك ١٩٦٢ Michael Cook يرى أن الخاصية التي يعتمد عليها في تحديد الجماعة الدينية، ما إذا كانت أصولية من عدمه، هي امتلاكها موروثًا دينيًا تعتقد اعتقادًا مطلقًا في عصمته، فيقول: "متى نعين الخاصية المعنية، فلنعتبر من الحاصل أننا بصدد علاج موروثات دينية ذات قدم معين ليست مرتاحة في علاقاتها بالعالم الحديث. وبكلمات عامة فإن هذه الموروثات أن ترد الفعل على عدم راحتها بإحدى الطريقتين الآتيتين: إما بمرونة أو عدم مرونة. ففي السياق البروتستانتي الأمريكي الشمالي كان من ينطبق عليهم وصف المرونة من ذوي النزعة الحديثة. لكن ما يعنينا نحن يوجد في أشكال الدين التي ترفض الخضوع للحداثة، أو على الأقل لا تفضل الخضوع" (٣٢)

"في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كان العديد من الكوادر في البروتستانتية الأمريكية يبحثون بنشاط عن طرق لتكييف المعتقدات الدينية التقليدية مع حقائق العلم والنظريات الحديثة. لكنهم قوبلوا وجهاً لوجه من قبل أشخاص اعتبروا التعديلات بدعة وأعلنوا أنهم سوف يدافعون عن المعتقدات الدينية. وبالفعل أنتجوا عددًا من المنشورات التي عززت قضيتهم الدفاعية. وكان من أهمها سلسلة كتب بعنوان "الأساسيات" صدرت خلال السنوات (١٩١٠ – ١٩١٥). وكتب القس المعمداني والمحرر الصحفي كيرتيس لي لوز Curtis Lee Laws، العام ١٩٢٠ في صحيفة نورثرن المعمدانية، أن الأصولي هو الشخص المُستعد للقيام بالدفاع والقتال من أجل أساسيات الإيمان (ألوهية السيد المسيح وولادته المعجزة، وحقيقة المعجزات التي وردت في الكتاب المقدس، وقيامة المسيح من بين الأموات، والعودة النهائية للمسيح). ومنذ ذلك الوقت، وناضل الأصوليون في كنائسهم بنشاط ضد

الحداثة وضد نزعات التطور. وارتبط اسم الأصولية بـ"الاستبداد" Onservative. والكثير يرى أن الأصوليين هم "إنجيليين". (٣٣)

اعتبر كيرتيس لي لوز، الحركات الأصولية، "هي التي تناضل من أجل الإيمان بثوابت عقائدية، وهو التعريف الأكثر وضوحًا الذي اعتمد على الجوهر المشترك بين المجموعات المتنوعة، (أتباع العقيدة الألفية – المعمدانيين المحافظين – التقليديين المشيخيين – المقاتلين المتناثرين في الطوائف الأخرى) (يقصد اتخاذهم ثوابت العقيدة المسيحية أصل لهم، وتعهدهم بالدفاع والنضال من أجلها)، هؤلاء طورا الشعور بهويتهم المشتركة، وناضلوا من أجل الإيمان. وقدموا أنفسهم باعتبارهم يخضون معركة لإنقاذ الكتاب المقدس وتاريخه، وبالفعل ظهر في أواخر عام ١٩٢٠، سياسيين يدافعون عن الكتاب المقدس ومعصوميته. من بينهم السياسي الأمريكي وليام جينينغز برايان william jennings bryan، وشن حملة مناهضة لنظرية التطور، وردد خلالها ملاحظات الأصوليين. وقال إن الكتاب المقدس كان علميًا في الواقع بينما لم تكن الداروينية كذلك. وحذر من الآثار الداروينية على الدين والأخلاق والحضارة. وقال إنها دمرت إيمان المسيحيين".(٣٤)

محدد آخر للتيار أو المذهب الأصولي، هو أن أنصاره لا يضفون العصمة على الرموز والدعاة الدينيين. فقط على المعتقد الديني، يقول مايكل كوك: "الأمر المحدد كذلك هو كونهم لا يدعون مثل هذا الإيمان في عصمة الدعاة والمعلمين الذين تلقوا منهم دينهم". (٣٥) لكن ليس معنى هذا أن هؤلاء الدعاة والمعلمين لا يمارسون أشكال من السلطة داخل التيار، بل إنهم مراكز قوة، وتعد أرائهم من ناحية الشكل أصل ولكن من ناحية المضمون، تعد أراء اجتهادية مُبجلة ولكنها ليست أصلًا.

يتابع كوك: "ما أطالب به الأصوليين الجديرين بهذا الاسم، يرد إلى ثلاثة أمور: ينبغي أن يعينوا مقومًا لموروثهم الديني بوصفه أصلًا، في حين يعتبرون الباقي بنية فوقية. وينبغي أن يضعوا السلطة في الأصل بدلًا من وضعها في البنية الفوقية. وينبغي أن يأخذوا سلطة الأصل مأخذ الجد بطريقة جوهرية، (يقصد أن تطبيق سلطة الأصل إلزامية على الأفراد وليست اختيارية). ومن كان الأصل والبنية الفوقية عنده لا يقبلان التمايز، أو من يضع السلطة خارج الأصل، أو من يولي عناية ضئيلة أو عناية غير جوهرية لها، فهؤلاء ليسوا من أطلق عليهم اسم الأصوليين". (٣٦)

"العصمة الكتابية سمة مميزة للتيار الأصولي، فالمسلمون يؤمنون بالقرآن – النص الإلهي ويعتبرونه كلام الله المعصوم ويسعون من خلاله إلى أسلمة المجتمع، والأصولي البروتستانتي يؤمن بعصمة الكتب الخمسة الأولى (التوراة)".(٣٧) ووفق قاموس "المورد" فإن "الأصولية مذهب العصمة الفردية، وهي حركة عرفتها البروتستانتية في القرن العشرين، تؤكد عصمة الكتاب المقدس في كل ما يتعلق بالتاريخ، ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي" (٣٨)

يوضح كوك أمور تتعلق بالمورث الديني الذي يعد أصلًا، فيقول إن "المواريث الدينية تختلف في الدرجة التي ترهن نفسها بها للأصلنة. والفروق إما تتعلق بالشكل أو الجوهر (المضمون). ففي حين أنه من الجانب الشكلي يمكن لكل موروث أن يُحفظ، فإن المعتقد الشعبي الوثني، الذي يكون ماضية غير حائز على استقلال في علاقته بحاضره، قد يكون يسير الأصلنة (يقصد هنا أنه ليس موروثًا له حضور في الأوساط الأصولية). ومن الراجح في المقابل أن يكون الدين الوريث لموروث مكتوب مستقر ومتفرع هو أكثر قابلية للتكيف والانفتاح. أما من الجانب المضموني (الجوهري) فإن المواريث تختلف من حيث مدى قابليتها للحفاظ على أوجه من الماضي قابلة للتكيف مع الحاضر. فنفض الغبار عنها بمزاج أصولي قد ينتج منه هويات وقيم وقد لا ينتج منه. وهو ما يجعلها جذابة بشروط حديثة. والأمور المرغوب عنها يمكن أن تغري في الأماكن القديمة والمنسية، والأمور المرغوب فيها لا يمكن أن تتدرج في التقاليد إلا في مرحلة متأخرة".(٣٩)

يفرق كوك بين الشخص المحافظ Conservative والشخص الأصولي Fundamentalist، فيقول: "لا يمكن اعتبار المحافظ شخص أصولي، حتى وإن تعادلا في ولائهما لموروثيهما الدينيين، فما يريدان عمله فيهما أمور شديدة الاختلاف. فالأصولي يريد أن يعيد إلى موروثه الديني حالته الأصلية، والمحافظ يريد أن يحفظ موروثه الديني كما وجده".(٤٠)

أرى أن الموروث الديني ليس جميعه على التساوي في الدرجة؛ لكونه قابلًا لأن يكون أصلًا من عدمه. ففي الإسلام حجية القرآن أعلى من حجية السنة الموضحة في الأحاديث المروية، والأحاديث المروية أعلى حجية من اجتهادات الفقهاء في المسائل الدينية والتي يطلق عليها (النوازل). بمعنى أن الأصل يفقد من حجيته كلما اقترب زمنه، وكأن الأصل لابد وأن تكون جذوره ضاربه في أغوار الماضي والماضي السحيق. ولأن الأصولي قد يجد

صعوبة في إقناع أتباع المذهب في تنفيذ تقاليد قديمة، فإنه يحاول عصرنة الأصل الذي بين يديه. هنا يكمن ما نطلق عليه المهارة الأصولية، إذ إن الأمور قد تتطور ويفقد الأصل هيبته، ولا ينتج عنه هويات وقيم.

بتعيين الأصل من قبل الجماعة الأصولية، يتحول إلى قوة إلزامية على الأفراد؛ بما له من خاصية المعصومية الكتابية، وامتلاكه الحقيقة. وبالانطلاق من منطق فلسفة الأمر، فإن الآمر لا يمكن أن يصدر أوامره للمأمور إلا إذا كان للأول سلطة على الثان، وبين الطرفين تراضٍ، وإلا تحولت السلطة إلى تسلط.

"السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر. فهي تستلزم آمرًا ومأمورًا وأمرًا، آمرًا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورًا عليه واجب الطاعة للآمر وتنفيذ الأمر الموجه إليه. إنها إذن، علاقة بين طرفين متراضيين، يعترف الأول منهما بأن ما يصدره من أمر إلى الطرف الثاني ليس واجبا عليه إلا لأنه صادر عن حق له فيه، ويعترف الثاني منهما بأن تنفيذه للأمر مبني على وجوب الطاعة عليه، وحق الطرف الأول في إصدار الأمر إليه. فالمشكلة الأساسية الأولى في علاقة السلطة هي مشكلة الاعتراف بما تقوّم به من حق وواجب عند طرفيها. فإذا كان هذا الاعتراف تامًا ومتبادلا، استقامت السلطة كعلاقة أمرية مشروعة. ولكن إذا تطرق الخلل إليه، من جهة الآمر أو من جهة المأمور أو من جهة الأمر نفسه، فإنها تتعرض للارتباك والتصدع والوهن، وقد تنتهي إلى انهيار".(٤١)

"الحق الذي تقوم به السلطة محدود من جهتين. الأولى هي مصدره، والثانية هي ميدانه ونطاقه أو مداه. من أين يأتي لصاحب السلطة الحق في الأمر؟ وما هو الميدان الذي يمارس فيه هذا الحق؟ وما هو المدى الذي يستطيع بلوغه في ممارسته له؟ كل سلطة بين البشر تحتاج إلى تبرير. وكل سلطة مبررة إنما هي سلطة في ميدان معين ومن أجل هدف معين، والفرق بين السلطة والتسلط يكمن في هاتين النقطتين. فالتسلط هو انتحال للحق في الأمر من دون تبرير البتة، أو من دون تبرير كاف ومقبول، أو هو تجاوز للنطاق المعين للحق في الأمر، وفي الحقيقة إذا كان من اليسير، نظريا إدراك الفرق بين السلطة والتسلط، فإنه من العسير، عمليًا، حفظ السلطة خالصة من كل أشكال التسلط، وإذا كان من اليسير على النفس الإنسانية تحمل السلطة وأصحاب السلطة، فإنه من العسير عليها تحمل التسلط والمتسلطين".(٤٢)

وأتباع المذهب الأصولي، يخضعون إلى سلطات أربع، واحدة مطلقة وثلاث تابعة لها، "سلطة رجال الدين، تحيل إلى سلطة المؤسس الرسول أو الرسل الذين أتوا بالدين أو أتى الدين بواسطتهم. والثانية، أي سلطة الكتاب، تحيل إلى سلطة الله الذي أرسل الرسول لكي يبلغ رسالته إلى من أراد مخاطبتهم. فالمؤمن المتحرك في إطار الدين، يخضع في الحقيقية لأربع سلطات متراتبة: واحدة مطلقة، وثلاث تابعة لها، ومنبثقة منها، أو متوقفة عليها بشكل أو بآخر. وهكذا تعني السلطة الدينية، بالنسبة إلى المؤمن المطيع، سلطة المرجع الديني، أو سلطة الرسول، أو سلطة الكتاب، أو سلطة الله".(٤٣)

والإيمان هو المحور الذي تقوم عليه السلطة الدينية أو سلطة الأصل، "من وجهة الشكل، يبدأ الإيمان الديني بالإيمان بالمؤسس، بالرسول وبما يأتي به. ومن وجهة المضمون، يبدأ بالإيمان بالله وبالوحي أو بالتجسيد. إذن، بدون الإيمان، لا وجود ولا معنى للسلطة الدينية. ومع الإيمان يصبح الإيمان مأمورًا ومطيعًا للسلطة الدينية على تفاوت مراتبها".(٤٤)

من كل ما سبق يمكن وضع تعريفان للأصولية، أحدهما عام والأخر محدد. أما العام هو أن الأصولية اصطلاح يسعى لتقديم نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، نابعة عن قناعة وإيمان بفكرة أو منظومة قناعات تكون في الغالب تصورًا دينيًا أو عقيدة دينية.

أما التعريف المُحدد، فإن الأصولية هي كل تمسك حرفي بمورث سابق، قد يكون كتابًا مقدسًا، أو نموذجًا للحكم طبق في وقت سابق (فترة حكم النبي أو فترة العصور الأولى التي أعقبت موت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أو فترة ما تسمى الخلافة الإسلامية)، ومن الممكن أيضًا أن تكون إيمان بمجموعة من المبادئ التي كتبتها جماعة معينة. العبرة في تحديد تلك الجماعة بأنها أصولية أو غير ذلك هو مدى اعتقادها المطلق بأن ذلك المورث منزه عن الخطأ ولا يأتيه الباطل، ويبدأ الفرد في التقوقع داخله، متخذًا إياه منهجًا إيمانياً وفكرياً وسلوكياً.

د – سمات الأصولي:

الأصوليون لهم من السمات ما يميزهم عن غيرهم. ومن التعريفات السابقة من الممكن أن نقف على أبرز هذه السمات، وروجيه غارودي يحدد جزء منها فيقول: "أولًا: الجمودية، ورفض التكيف، وجمود معارض لكل نمو، ولكل تطور. ثانيا: العودة إلى الماضي،

والانتساب إلى التراث والمحافظة. ثالثا: عدم التسامح والانغلاق، والتحجر المذهبي، والتصلب، والعنف، والعناد".(٤٥)

إن الفكر الأصولي، يتشبث بالماضي التراثي، ويطالب طوال الوقت بالعودة إلى العقيدة في نبعها الأول والصافي، لمواجهة الحداثة المعاصرة، فإن الأصولي يبدأ في تبني خطاب إقصائي يرفض الآخر، ولا يقر بذهنية التسامح، ويستعمل بدلًا منهما القوة والعنف. لذلك يمكن القول إن الإقصاء ورفض الأخر وعدم التسامح والميل إلى العنف أحد أبرز سمات الأصولي.

مايكل أنجلو ياكوبوتشي يقول: "تعتمد الأصولية معايير تصنيف للآخر بوصفه مختلفًا عنها، فينتج سلوك إقصائي، إن هذا السلوك قد ألحق تشوهات من خلال أنواع البتر التي ينفذها ... جراء حذفه وتصفيته لكل المدارس والمؤلفات والشخصيات الفكرية ... التي عدت زندقة أو منحرفة".(٤٦)

"إن الأصولية كلمة باتت مألوفة للجميع. وبالكاد يمر يوم بدون أنباء عن بعض الأعمال الوحشية الإرهابية التي يرتكبها المتدينون المتعصبون أو "الأصوليون" في جميع أنحاء العالم. إن الصحف مليئة بأحدث عنف وقتل وتشويه لدوافع دينية. الأصوليون هم من فجروا نادي ديسكو في جزيرة بالي، ليقتل ما يقرب من ٢٠٠ شخص، معظمهم من الشباب الاستراليون. والأبشع فظاعة على الإطلاق اختطاف عناصر مسلحة انتحارية ينتمون لتنظيم القاعدة الذي يقوده المنشق أسامة بن لادن لثلاث طائرات، في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، واستهداف مركز التجارة العالمي في نيويورك والبنتاغون القريب من واشنطن، ليقتل نحو ٣٠٠٠ شخص.

هناك العشرات من الفظائع الأخرى التي يتحمل مسؤوليتها الأصوليين، مثل قتلهم أكثر من خمسين سائحاً في الأقصر بمصر في نوفمبر ١٩٩٧ ... والشاحنة الانتحارية التي قتلت أكثر من ٣٠٠ من مشاة البحرية الأمريكية والفرنسية في بيروت العام ١٩٨٣، وتسببت في مغادرة قوة حفظ السلام الدولية، والهجمات على سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا الأعوام ١٩٩٨ و٢٠٠١ لتخلف مئات القتلى، معظمهم من الأبرياء الأفارقة.

وبينما تورط في معظم الجرائم السابقة، أو ألقى باللوم فيها على أصوليين إسلاميين معادين للغرب وللولايات المتحدة، إلا أن يهود وسيخ وهندوس تورطوا في جرائم مشابهة، فالأصوليين هم من اغتالوا رئيس وزراء إسرائيل واثنين من رؤساء الوزراء الهنود، بينما السيخ والهندوس فيتحملون نتائج العنف على نطاق أوسع في الهند وسريلانكا –

ويعد النزاع العربي الإسرائيلي في مقدمة النزاعات القائمة على أسس أصولية ... على الجانب اليهودي الأرثوذكسي مستوطنون من جوش ايمونيم – بالعربية تسمى (كتلة المؤمنين)، وهي حركة استيطانية ذات ديباجات دينية تطالب بصهيونية المسجد الأقصى. وترى أن احتفاظ "الدولة العبرية" بالأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ أمراً ربانياً لا يمكن للاعتبارات الإنسانية أو العملية أن تلغيه – يرفضون التخلي عن مستوطنات الضفة الغربية؛ لكونهم يعتقدون أن الأرض أعطيت أصلا لبني إسرائيل من قبل الله، وعليهم عليهم واجب الحفاظ عليها حتى عودة المسيح". (٤٧)

أرى أن هناك سمات أساسية للأصولية يمكن حصرها في (المحافظة – الشمولية – التدين – العنف):

والنزعة المحافظة Conservatism: هي من أبرز سمات الأصولية؛ إذ تعكف تلك الجماعات على معارضة النزعات التحررية والتنويرية والحداثية. وترى في كل جديد تهديد لموروثها. فالأصولي يظل حبيس مورثه، لا يثق إلا فيه، ويمارس أدوارًا إقصائية لكل ما هو حديث. ومن الممكن أن يقبل الأصولي بما هو حديث لكن في إطار ما يعزز وجهة نظره، ويبرر تمسكه بالقديم، كاستخدامه وسائل الاتصال والبث في ترويج أفكاره.

أما الشمولية Inclusivity: فإن التيار الأصولي يقدم نفسه طوال الوقت على أنه يملك إجابات للأسئلة الوجودية كافة، معتمدًا في ذلك على ما يمنحه إياه موروثه من يقين، ودعم مقدس. ومن أمثلة ذلك تجد العديدين ممن يستشهدون بالآية القرآنية "ما فرطنا في الكتاب من شيء" يجانبون الصواب ويضعونها في غير موضعها كلما أرادوا أن يُثبتوا أن القرآن تناول جميع الأمور، ويعتمدون هذه الآية بمعزل عن سياقها واجتثاثا لها من موضعها السليم. كمّا أن "الشموليّة"، مفهوم مأخوذ عن الكاثوليكيّة، ويعني: أن جميع الأسئلة التي تفرضها الحياة الخاصة والعامة تجيب عنها تعاليم الدين والعقيدة.

في السياق يقول الباحث عامر شطارة: "إن أحد القواسم المشتركة بين الأصوليات الدينية المُختلفة هو خطابهم الشمولي الاقصائي الذي لا يعترف بالآخر المختلف، وبالتالي لا يؤمن بفلسفة الاختلاف. خطاب شمولي بمعنى أن له تصورًا نهائيًا عن التاريخ والإنسان والحقيقة، وبالتالي فإن الخطاب الأصولي يقدم نفسه كخطاب يحمل الخلاص للإنسانية بشكل عام في كل المجالات والمستويات، إنه خطاب مؤسس على اعتقاد أن الحقيقة اكتملت في فترة تاريخية معينة وإنها ناجزه بالتمام، وما علينا سوى الرجوع إليها لحل كل مشاكلنا الحالية،

وبالتالي تدخل الأصولية كخطاب ضمن ما كان يسميه جان فرانسو ليوتارد Jean–François Lyotard بالسرديات الكبرى مثل الماركسية والليبرالية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه تم نقد هذه السرديات الكبرى وربما تجاوزها في عصر ما بعد الحداثة، ولكن تميزت الأصولية الدينية بسريان مفعولها حتى وقتنا الراهن بسبب محاولاتها الناجحة في امتصاص صدمة الحداثة والتكيف معها بل وتوظيفها لها". (48)

أما التدين Religiosity، وهو التمسك بأداء الطقوس والعبادات. يعد سمة تميز الأصولي؛ لكونه يرى فيه كافحًا ضد النزعات التحديثية، ومن أشكاله الالتزام بارتداء ثياب تعبر عن الديانة، وإطالة اللحية أو ارتداء الجلباب أو وضع غطاء على الرأس.

بينما السمة الرابعة للأصولية، هي العنف Violence، أو الميل إلى القوة لفرض سياسة الأمر الواقع. فالأصولي يستخدم العنف باسم النزعة المحافظة، ويبرر ذلك بسرد براهين وحجج يبرر بها قسوته على المخالف.

وهناك سمات أخرى للأصوليين، إيمانهم بالمفهوم التدبيري للتاريخ؛ أي أن العالم يسير وفق تدابير إلهية لا يمكن الخروج عنها. أي أنهم يقاومون التغيير ويرفضونه ولعل هذا جزء من منهجيتهم في مناهضة الحداثة والعصرنة، وعليه لا يمكن للإنسان فعل أي شيء سوى التمسك بالإيمان. كما أن الأصوليين لا يتعاملون مع النصوص الدينية إلا من خلال قراءة "أخروية" Eschatological، تتحدث عما يُعتقد أنها الأحداث الأخيرة قبل نهاية العالم.

مذهب "ما قبل الألفية" من أكثر الشواهد على أن الفكر الأصولي يعتقد أن كل ما يحدث في العالم يسير وفق عناية إلهية، وعلى المؤمنين انتظار القدوم الثاني للمسيح ليخلصهم من الملحمة الكبرى. "يؤمن معظم أتباع المذهب الإنجيلي في أمريكا بعقيدة ما قبل الألفية. فهم يعتقدون – وبدرجات متفاوتة – أن الوقت الذي يشهد العودة الثانية للمسيح على الأرض، سيعرج بالمسيحيين إلى السماء، تخليصًا لهم من الملحمة التي ستحل بشعوب الأرض من غير المؤمنين. وقد أدى هذا الاعتقاد في السابق إلى انتشار نوع من (اللامبالاة) في صفوف الإنجيليين؛ فلم القلق إذا كان هذا العالم سينتهي وسنكون في أمان من هذه المجزرة؟" (٤٩)

أرى أن المذهب الأصولي بذلك يرفض مبدأ التغيير ويقاومه، فهو يريد أن يسلم الجميع بوضعه، على اعتبار أن ذلك أمر مُقدر من قبل الإله، فالتيار الأصولي يرى أن الفقراء عليهم الانتظار والمظلومين عليهم الصبر. ومن بين الأمثلة على رفض الأصوليين مبدأ التغيير، مناهضتهم في أمريكا وكندا لحركة الإنجيل الاجتماعي*** Social Gospal،

التي استهدفت معالجة مشكلات المجتمع، فتم مناهضتها؛ بحجة أن الكون يسير وفق تدبيري إلهي وعناية إلهية لا يمكن الخروج عنها، وما على الجميع إلا الإيمان حتى المجيئ الثاني للمسيح كي يخلصهم من الملحمة الكبرى التي سيهلك فيها غير المؤمنين.

"رفض الأصوليون لحركة الإنجيل الاجتماعي، جاء من منطلق أن الإصلاح يعد بمثابة اعتراض على مشيئة الله، الذي يدير الكون وفق خطط محكمة، وأن طريق الخلاص الوحيد هو الإيمان بالمسيح وتهيئة الطريق لقدومه الثاني، وأن مساعي إصلاح المجتمع لن يكون لها فائدة سوى صرف طاقة وزمان الأفراد بدون فائدة بدلاً من تركيز طاقاتهم نحو لقاء المسيح. الأصوليون يؤمنون أن الدمار والفساد بالمجتمع هو شيء لا يمكن تداركه ولا يجب محاولة تداركه أصلا بالأعمال الجيدة، لأنها ببساطة تعبر عن مشيئة الرب" (٥٠)

إن من بين ما يميز الأصوليون أيضًا رفضهم للأخر والعمل على إقصائه وتهميشه، في حين يتولد لديهم شعور بالتسلط والفوقية، والاستبداد والهيمنة؛ من منطلق اعتقادهم أنهم يقدمون خطابًا شموليًا في يده الحل. ولا يمكن اعتبار رفضهم التغيير سمة تميزهم في الوقت الحالي، ربما كانت تميزهم في بدايات نشأة التيار الأصولي، قبل أن يقرر التحالف مع تيار اليمين في أمريكا، ليظهر مذهب التجديد المسيحي الذي هو عبارة عن تحالف بين مذهب ما قبل الألفية ومذهب ما بعد الألفية.

مذهب التجديد المسيحي الذي يعكس تحالف تيار ما قبل الألفية وتيار ما بعد الألفية مع تيار اليمين المُتشدد في أمريكا، أفضل مثال على رفض الأصوليين للأخر والعمل على تهميشه وإقصائه، والهيمنة والتسلط عليه. والمذهب ينطلق من عقيدة أن المجيء الثاني للمسيح لن يكن إلا من خلال تأسيس ملك يدوم ألف سنة، ويشهد تطبيق وإيمان بمبادئ المسيحية، التي سيضعوها هم.

التحالف بين الديني والسياسي أحدث تطورًا مهما في معنى وحدود الأنا وتمثلات الآخر لدى التيار الأصولي البروتستانتي. فالآخر المختلف الذي يجب تغييره وتهميشه توسعت حدوده داخل نطاق المجتمع الأمريكي (العلماني، الليبرالي، المسيحي غير البروتستانتي، وحتى البروتستانتي غير المنتمي للتيار الأصولي المحافظ) إلى خارج حدود المجتمع الأمريكي ليشمل أصحاب الديانات الأخرى، والمعارضين للأيديولوجيا السياسية للحزب اليميني.

"أيديولوجية الهيمنة المسيحية تؤكد على ضرورة أن يحمل الرجال الربانيون مسؤولية تولي قيادة جوانب المجتمع كلها، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح. وتتفرع أيديولوجية الهيمنة المسيحية

عن المذهب التجديدي المسيحي، وهو مذهب أصولي شاع على يد القس آر جي رشدوني وصهره غاري نورث. ولد رشدوني في مدينة نيويورك عام ١٩١٦، لأبوين مهاجرين من أرمينيا، فرارا من أعمال (الإبادة التركية) التي كانت تلاحقهم. ودرس رشودوني في جامعة كاليفورنيا في مدينة بيركلي، ثم أمضى ثمانية أعوام منصرًا في أبرشية تابعة للكنيسة المشيخية للهنود الحمر في لاية نينادا. وكان كاتبا غزير الإنتاج. إذ ألف عددًا كبيرًا من المراجع والكتب التي تدعو إلى القضاء على المدارس الحكومية، وعلى الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة. واستبدال تشريعات مستمدة من الكتاب المقدس بالقانون الوضعي. ويحمل رشدوني رؤية قاسية؛ فدعا إلى إنزال عقوبة الإعدام بذوي الميول الجنسية المثلية. وبالذين يتلفظون بعبارات الكفر، وبالنساء المتهتكات وغيرهم من الآثمين. وكتب يقول: إن الديمقراطية بدعة وهرطقة، وإنها تمثل الحب الأكبر للفاشلين والجبناء في الحياة". (٥١)

"يندرج مذهب التجديد المسيحي ضمن عقيدة ما بعد الألفية، ويعني أن أتباع هذا المذهب يؤمنون بأن العودة الثانية للمسيح لن تتم إلا بعد أن يؤسس المسيحيون حكما يدوم ألف سنة ... يريد المجددون بناء مملكة لأنفسهم ... ومنذ السبعينيات من القرن الماضي – وبتزامن مع بروز اليمين المتدين – تسيست عقيدة (ما قبل الألفية). ومن بين الشخصيات البارزة والمهمة في هذه العملية: الكاتب الإنجيلي المؤثر أمريكي الأصل فرانسيس شيفر مؤسس مجموعة لا إبري ... وقد عكف شيفر على قراءة مؤلفات رشدوني، وإقامة ندوات عن أعماله. ثم قام شيفر بكتابة سلسلة من الكتب التي أصبحت ذات تأثير واسع في توضيح الرؤية العالمية للدين المسيحي. وفي كتاب له بعنوان (البيان المسيحي) المنشور العام ١٩٨١ وصف شيفر التاريخ المعاصر بأنه صراع بين النظرية المسيحية والنظرية المادية، قائلًا: إن هاتين النظريتين تقف الواحدة منهما محصلة إجمالية مضادة للأخرى في المحتوى وفي النتائج الطبيعية، بما في ذلك النتائج الاجتماعية، والحكومية، وبخاصة في التشريع". (٥٢)

"قام جي غريمستيد – وهو أحد تلاميذ فرانسيس شيفر – بجمع الشخصيات البارزة من مذهب ما بعد الألفية ومذهب ما قبل الألفية، لتكوين منظمة تسمى الائتلاف النهضوي، وذلك لوضع خطة لتسيير الحياة الأمريكية ... والمدة الزمنية بين عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٦، طورت مجموعة الائتلاف النهضوي سبع عشرة وثيقة بخصوص (الرؤية العالمية)؛ وضحت فيها الموقف المسيحي من معظم جوانب الحياة ... وتضمنت تلك الوثائق برنامجا سياسيا

كاملًا. يحتوي على مواقف إنجيلية تجاه مختلف القضايا، مثل الضرائب: فالرب يفضل الضرائب الأفقية وليس التصاعدية.. ومثل المدارس العامة التي ينظر إليها في العادة بعين ساخطة، ومثل الإعلام والفنون. إننا نستنكر السماح بنشر الصور الخلاعية الإباحية وغيرها من أشكال التجديف بوصفها من قبيل الفن أو (حرية التعبير)". (٥٣)

هناك سمة أخرى للتيار الأصولي، وهي ترويجهم لنظرية المؤامرة، وأن الدين مُهدد من قوى داخلية وخارجية، لذلك هم يتوسعون في توصيف العدو، ويبالغون في إظهار خطر الآخر، ومؤامراته المُستمرة في القضاء على الذات، أو في وصف مشكلات الإنسانية بطريقة تهويلية، تهدف لتسويغ خطاب الأصولية الشمولي والانتقادي. وتكون نتيجة ذلك لجوء التيار الأصولي للعنف والعدوانية ضد الآخر والعمل على نفيه.

"إن الأصوليين المسيحيين لا يعرفون العدو على أنه الغرب بحد ذاته، بل يعتبون العدو بجانب الحركات النسوية من يحاول أن يصبغ الحياة العامة بالعلمانية والإلحاد، واصفين إياهم بخونة الحضارة ... ولقد تعرضت الأديان والمؤسسات الدينية، وحتى تابعوا ومؤمنوا الأديان بشكل عام لمخاطر وتهديدات ذات أصل سياسي، اقتصادي، عسكري، أو حتى ثقافي والتي كان لها الأثر الكبير على مسيرة هذا الدين أو ذاك، مما كان يستدعي تلك الديانات بأخذ التدابير من أجل الدفاع عن نفسها ومؤسساتها الدينية والتابعين لها، وقد أخذت هذه التدابير أشكالا مختلفة على مر التاريخ". (٥٤)

مما سبق تتضح سمة أخرى للتيار الأصولي وهي ازدرائهم للمرأة، فدائمًا ما ينظر إلى المرأة بوصفها سبب كل الشرور والفساد الأخلاقي في المجتمع؛ لذلك تعمل تلك التيارات على تضيق الخناق عليها ورفض منحها أي أدوار في المجتمع.

"من الاستراتيجيات المُهمة التي يتبعها الفكر الأصولي المسيحي إعادة ترسيم حدود المرأة الفكرية والاجتماعية بما يتناسب مع معتقداتهم. وحركة المرأة ضد الأصولية (Wonen Against Fundamentalism) تركز على إظهار مدى الدور السلبي الذي تلعبه التيارات الأصولية الدينية في إقصاء المرأة كفاعل أساسي بالمجتمع، وتهميش دورها بشكل عام.

ففي قلب كل الاستراتيجيات الأصولية نجد التحكم في عقل المرأة وجسدها. وعليه فإن ما تتعرض له المرأة داخل الأسر الأصولية من خضوع، وما تتعرض له الحركات النسائية من عرقلة اليمين المسيحي، الذي يطالب بإلغاء التعديل الذي أجازه الكونجرس الذي يمنح المساواة على أساس النوع، هو شاهد على نهج هذا التيار في ازدراء المرأة". (٥٥)

إن الأصولي دائمًا ما يتحدث عن الهوية بوصفها عنوان له ولفكره، ولقد لعبت الحداثة بوصفها ثقافة موحدة قائمة على العلمانية والفردانية والعقلانية والمجتمع المدني، دورًا في تغذية الشعور بالهوية لدى الأصوليين عامة سواء يهود أو مسيحيين أو إسلاميين.

النتائج

– يعول الإنسان بشكل رئيس على المعتقد الديني في حل أزماته، والحصول على إجابات شافية، للأسئلة الملحة التي تُعرض عليه طوال الوقت خاصة التي تتعلق بتحديد مصيره، وخوفه من المجهول، وقلقه من مواجهة الموت.

– كلمة (دين) لها معان مُختلفة وفقًا للقواميس اللغوية، وجاءت في القرآن بمدلولات مُختلفة، ففي بعض الآيات يقصد بالكلمة يوم القيامة، وفي أحيان أخرى يقصد بها المُعتقد.

– التجربة الدينية، هي حالة المشاعر التي تتولد لدى الإنسان وتتملكه؛ نتاج خوضه تجربة روحية فردية، إما مع قوى يعتبرها أعظم منه شأنًا، أو نتيجة تأديته لطقوس أو دخوله في نوبات تأمل، أو نتيجة اعتقاده بنفعية جملة من المبادئ والتعاليم. وخلال تلك التجربة الفردية يستشعر المرء بمزيج من المشاعر المتداخلة أحيانًا، والمتضادة أحيانًا أخرى. فتتأرجح مشاعر الفرد ما بين الخوف والاطمئنان، والرغبة والرهبة، والفرح والحزن، والطموح واليأس، والحب والكره، وغيرها كثير من المشاعر التي تتولد من تفاعلات الشخص خلال تلك التجربة التي تمر بمراحل مختلفة. وذروتها حينما يستشعر المرء بأنه حقق مراده منها، ووصل إلى مرحلة متقدمة من السلام النفسي. حينها يستشعر المرء بسموه الروحي، وانجذابه المطلق، لمعبوده أو لفكرته التي يؤمن بأنها غذاءه الروحي. ويبدأ في التعويل على تلك التجربة في تحقيق إنجازات على المستوى الشخصي، قد تكون إنجازات متمثلة في الرغبة في الفوز بجنات ونعيم يتصور أنها في انتظاره في حياته السرمدية التي تبدأ بعد الممات، أو الحصول على إجابات للأسئلة الوجودية الثلاث (الخوف من المجهول – الخوف من الموت – الخوف من عدم تحديد المصير).

– قوام التجارب الدينية، التذلل، وإرغام النفس على الخضوع والانكسار، ويرى صاحب تلك التجربة أن الشعور بالضعف والاحتياج، هما من مراحل التداخل مع المعبود، أو نتاج تنفيذ دقيق لما تمليه عليه المبادئ التي يؤمن بها.

– ليس ضروريًا أن تكون تلك المعتقدات عقلانية، فيمكن للمرء أن يعتقد في شيء ما على مستوى الوعي، ولكنه يعلم عن طريق اللاوعي أنه خطأ. كما تقوم التجربة الدينية على مبدأ

الفردية، ويجنح صاحبها طوال الوقت إلى العاطفة والبعد عن أي تفكير عقلي. ودائمًا ما يكتشف الفرد تلك التجربة ويبدأ في معالجتها بشكل مفاجئ، إذ أنها مثل الومضة التي تأتي الإنسان نتيجة تفكيره أو تعلقه بالكشف عن أسرار الكون.

– من الصعب إخضاع التجربة الدينية إلى المراقبة، وأن رصدها يتم فقط عبر الاستماع إلى تجارب الآخرين، وشهاداتهم، وهذه التجارب والشهادات تتفاوت بين الوضوح والغموض.

– الدين لم يظهر مع اكتشاف الإنسان للآلهة، فالبدايات الأولى للتجربة الدينية، جميعها تجارب شخصية بدأت بـ(تأمل – زهد – انجذاب – رغبة في التوحد والاندماج مع قوى غيبية؛ طمعًا في الوصول إلى حالة من السلام والطمأنينة). ونتاج هذه التجارب يبدأ الإنسان فيما بعد في اكتشاف الآلهة.

– المؤسسات الدينية في بعض النماذج الحالية شبيهة لبعض ما كانت عليه الكنيسة في العصور الوسطى، استغلال للدين عبر احتكار تفسير النصوص، ورفض تأويلها؛ لكن الرفض الحالي إما لتحقيق مصالح خاصة بها، أو ظنًا منها أن ذلك قد يكون مدخلًا لتحريف النص وإضعافه.

– السلطة الدينية تقوم على فكرة الإذعان والتسليم للمطلق، لذلك تجد الهيمنة والتسلط هي السمة الرئيس لعدد من رجال الدين. وبدون الإيمان، لا وجود ولا معنى للسلطة الدينية. ومع الإيمان يصبح الإنسان مأمورًا ومطيعًا للسلطة الدينية على تفاوت مراتبها.

– الدين يسعى لتوفير إجابات على الأسئلة المصيرية للإنسان، وقبل أن تصبح هذه الأسئلة هي غاية الدين، كانت الدوافع الأولى للتجربة الدينية أعم؛ إذ لجأ الإنسان إلى التأمل والدخول في خلوة في محاولة لفهم الكون، ووضع تفسيرات للظواهر التي تحيط به، ما تمخض عنه شعور بالمطلق واللانهائي، الذي تحول بعد ذلك إلى الإله أو إلى الفكرة التي يجد ضالته في التعلق بها.

– الأصولية في العالم العربي لم تأخذ ذات الأبعاد والدلالات التي كانت عليها الكلمة غربيًا؛ فهي في الغرب حركات دينية لها تأثير كبير اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا. أما عربيًا فظلت حبيسة لجماعات سعت من خلالها إلى فرض مجموعة من القيم، سواء أرادت بها تحقيق أهداف سياسية أو إرغام الأشخاص على اعتناقها، بوصفهم "الجماعة الناجية".

– مصطلح الأصولية ظهر بشكل رسمي، العام ١٩٢٠، وتحديدًا في أعقاب مؤتمر "الأصول"، الذي نظمة خليط من بروتستانت أمريكا الشمالية، ومنذ ذلك الوقت، وحينها اتفقوا

على أن المتمسكين بالأصول المسيحية الكبرى، وينوون أن يكافحوا من أجلها، ينبغي أن يسموا أصوليين.

– الأصولية حركة تعكس رغبة تيار يتوق إلى اليقين؛ عبر الاعتماد على العودة إلى أساسيات الإيمان.

– الأصولية المسيحية البروتستانتية هي ردة فعل ناتجة عن مشروع الحداثة وأزماته؛ بعدما استشعر الأصوليون الخطر الوجودي جراء اتساع رقعة نفوذ مشروع الحداثة، الذي ترتب عليه نقد القيم المجتمعية والدينية التي كانت تمثل هوية دينية وقومية للأصوليين.

– الحداثة فكرة نقدية تسعى تيارات لتعميمها على كل شيء، وقوامها العقلانية والفردية، وقد تركت عن عمد أسئلة مفتوحة من دون إجابات، وأنكرت إمكانية وجود حقيقة مطلقة، فبلور التيار الأصولي فكره، وشكل هوية قومية له، وسعى هو وتيارات أخرى إلى سد الفراغات التي أحدثتها الحداثة.

– بينما كانت النظريات العلمية والفلسفية، أكبر تهديد للأيديولوجيات والسرديات الكبرى، المرتبطة بالدين، خلال نهاية القرن التاسع عشر؛ إذ قدمت نفسها على أنها قادرة على تخليص الإنسان، لكنها لم تتمكن من تقديم إجابات مقنعة للإنسان عن الأسئلة المصيرية والمُطلقة، فعاود الناس لينشدوا خلاصهم بالعودة إلى الأديان التراثية، هنا برزت الأصولية التي لعبت على أزمات الحداثة، وقدمت نفسها بوصفها القادرة على تقديم إجابات مقنعة للإنسان.

– تحولت الأصولية المسيحية البروتستانتية من حركة دينية منشغلة بالقضايا اللاهوتية، إلى حركة احتجاجية ذات أبعاد سياسية واجتماعية، خاصة حينما تحالفت مع اليمين المسيحي.

– استهدف نيتشه من إعلانه "موت الإله"، أو قتله، إسقاط القيم العليا كافة، فهو لم يكن يعني أن هناك إلهًا وقد مات فعليًا، بل إن فكرتنا عن الإله هي التي ماتت، وبالتالي اعتمادنا عليه لم يعد له داعي.

– سادت أفكار موت الإله، إلى الدرجة التي تشكلت فيما بعد، حركة اجتماعية لاهوتية تسمى "موت الإله"، وهي حركة تبناها علماء لاهوت، وهذا ما قد يفسر لنا الصراعات داخل الطائفة البروتستانتية، وظهور جماعة من المحافظين دشنوا المذهب الأصولي

– إن تعريف مصطلح الأصولية، بعبارات كافية العموم، أدى إلى قابلية تطبيقه على أي موروث ديني أو غير ديني، يمكن أن نميز فيه مجموعة من الأصول، تعد مرجعية أساسية لجماعة من الناس.

– الأصوليون يضعون العصمة في الأصل وفقط، أي أنهم لا يضيفونها على الرموز والدعاة الدينيين، لكن ليس معنى هذا أن هؤلاء الدعاة والمعلمين لا يمارسون أشكال من السلطة داخل التيار، بل إنهم مراكز قوة، وتعد أرائهم من ناحية الشكل أصلًا، ولكن من ناحية المضمون، تعد آراء اجتهادية مُبجلة، وليست أصلًا.

– تطبيق سلطة الأصل إلزامية على الأفراد وليست اختيارية.

– لا يمكن اعتبار المحافظ شخص أصولي، حتى وإن تعادلا في ولائهما لموروثيهما الدينيين، فما يريدان عمله فيهما أمور شديدة الاختلاف؛ فالأصولي يريد أن يعيد إلى موروثه الديني حالته الأصلية، والمحافظ يريد أن يحفظ موروثه الديني كما وجده

– الموروث الديني ليس جميعه على التساوي في الدرجة كونه قابلًا لأن يكون أصلًا من عدمه؛ ففي الإسلام حجية القرآن أعلى من حجية السنة الموضحة في الأحاديث المروية، والأحاديث المروية أعلى حجية من اجتهادات الفقهاء في المسائل الدينية والتي يطلق عليها (النوازل).

– الأصل لابد وأن تكون جذوره ضاربه في أغوار الماضي والماضي السحيق، إذ لا يمكن اعتبار المرجعية الدينية (الكتب المقدسة أو غيرها من المخطوطات) أصلًا كلما اقترب زمنها.

– الأصولي قد يجد صعوبة في إقناع أتباع المذهب في تنفيذ تقاليد قديمة، فإنه يحاول عصرنة الأصل الذي بين يديه؛ هنا المهارة الأصولية، إذ كيف يقدم النص التاريخي لأتباعه في قوالب جديدة؟. وإذا ما فشل الأصولي في ذلك، فإن الأمور قد تتطور ويفقد الأصل هيبته، ولا ينتج عنه هويات وقيم.

– الإيمان هو المحور الذي تقوم عليه السلطة الدينية أو سلطة الأصل، وبدون الإيمان، لا وجود ولا معنى للسلطة الدينية.

– للأصولية تعريفين، أحدهما عام والأخر محدد، أما العام هو أن الأصولية اصطلاح يسعى لتقديم نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، نابعة عن قناعة وإيمان بفكرة أو منظومة قناعات تكون في الغالب تصورًا دينيًا أو عقيدة

دينية. أما التعريف المُحدد، فإن الأصولية هي كل تمسك حرفي بمورث سابق، قد يكون كتابًا مقدسًا، أو نموذجًا للحكم طبق في وقت سابق (فترة حكم النبي أو فترة العصور الأولى التي أعقبت موت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو فترة الخلافة الإسلامية)، ومن الممكن أيضًا أن تكون إيمان بمجموعة من المبادئ التي كتبتها جماعة معينة. العبرة في تحديد تلك الجماعة بأنها أصولية أو غير ذلك بمدى اعتقادها المطلق بأن ذلك المورث منزه عن الخطأ ولا يأتيه الباطل، ويبدأ الفرد في التقوقع داخله، متخذًا إياه منهجًا إيمانياً وفكرياً وسلوكياً.

– الأصولي، يتسم بالجمود؛ إذ يرفض التكيف مع كل حديث، ويعارض كل نمو وتطور.

– الأصولي، يحلم طوال الوقت بالعودة إلى الماضي، والانتساب إلى التراث والمحافظة.

– الأصولي، غير متسامح ويميل إلى العنف والتصلب والانغلاق، والتحجر المذهبي.

– الأصولي، يؤمن بالمفهوم التدبيري للتاريخ؛ أي أن العالم يسير وفق تدابير إلهية لا يمكن الخروج عنها، أي أنهم يقاومون التغيير ويرفضونه

– الأصولي، يرى أن الفقراء عليهم الانتظار والمظلومين عليهم الصبر، حتى المجيء الثاني للمسيح.

– الأصولي، يرفض الأخر ويعمل على إقصائه وتهميشه، فهو يتولد لديه شعور بالتسلط والفوقية، والاستبداد والهيمنة طوال الوقت.

– الأصولي، يُروج لنظرية المؤامرة، ويصور طوال الوقت أن الدين مُهدد من قوى داخلية وخارجية، لذلك هم يتوسعون في توصيف العدو، ويبالغون في إظهار خطر الآخر، ومؤامراته المُستمرة في القضاء على الذات، أو في وصف مشكلات الإنسانية بطريقة تهويلية، تهدف لتسويغ خطاب الأصولية الشمولي والانتقادي.

– الأصولي، يزدري المرأة؛ فيصورها أنها سببًا لكل الشرور والفساد الأخلاقي في المجتمع؛ لذلك تعمل تلك التيارات على تضيق الخناق عليها ورفض منحها أي أدوار في المجتمع.

قائمة المصادر

(١) المعجم الفلسفي: تصدير: مدكور, إبراهيم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ١٥.

(٢) الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، من دون سنة نشر، ص ٢٦.

(٣) إبراهيم, أنيس، عبد الحليم, منتصر، عطية, العوالي، محمد, خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، الناشر، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، المجلد ١، ط٤، ص ٣٠.

(٤) وهبة, مراد: الأصولية والعلمانية، دار الثقافة، ط١، بدون سنة نشر، ص٢٢.

(5) Melton, I.Gordon: Encyclopedia Of Religions, Encyclopedia Of Protestantism, Facts On File, New York, 2005, Pag 240, 241.

(6) Ibid, Pag 241.

*الملك الألفي: النزعة الألفية، معتقد إيماني، ظهر بين صفوف المسيحيين المتمسكين بقدسية التوراة، وعرف عنهم حفاظهم على ما سمي بـ"المشيخية الزمنية" Presbyterian، والتأويل الحرفي لنصوص الكتاب المقدس، وعودة المسيح إلى عالمنا مع الملائكة والقديسين؛ ليحكم الأرض ١٠٠٠ عام، من هنا جاءت تسمية الألفية وهم يستندون في ذلك إلى ما ورد في سفر رؤيا يوحنا (٦- ٣:٢٠).

(7) Fern, Vergilius: The Encyclopedia Of Religion, Poplor Books ,U .S .A .1987. Pag 332,333.

(8) Ibid, Pag 333.

(9) *Melton, I.Gordon: Encyclopedia Of Religions, Encyclopedia Of Protestantism, Ibid, Pag 242,243.*

(10) *Mejia Francisco: **The Paradox of Liberalism**, Philosophy Now: a magazine of ideas,[Issue 110 :: October/November 2015:: Books ::11 matches].*
https://philosophynow.org/issues/110/The_Paradox_of_Liberalism

(11) *Mejia Francisco: **The Paradox of Liberalism**, Ibid.*

(12) *Ibid*

**الجنس الآري: فكرة تاريخية ظهرت أواخر القرن التاسع عشر، مفادها أن متحدثي اللغات الهندية الأوروبية الأصليين يمثلون وحلفائهم جنسا سائدا أو جنسا فرعيا سائدا من الجنس القوقازي، ما ولد تيارات شديدة الكراهية والعنصرية خلال فترة النازية.

(١٢) عزمي, سمير: الحداثة وأزمتها، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢١ يناير ٢٠١٥.

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB%D8%A9-

(رابط %D9%88%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%AA%D9%87%D8% A7-2420البحث)

(١٣) توران, آلان: نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، الناشر، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، ١٩٩٧، ص ١٢٩ – ١٣٠.

(١٤) المرجع السابق، ص ١٣٩– ١٤٠.

(١٥) نيتشه, فريدريك: أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية، ومحمد الناجي، ط١، ١٩٩٦، دار أفريقيا الشرق، ص ١٧.

(١٦) عطية, عبدالحليم أحمد: نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، ط١، ٢٠١٠، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(١٧) المرجع السابق: ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(١٨) فاتيمو, جياني: نهاية الحداثة (الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة ١٩٨٧)، ترجمة: فاطمة الجيوشي، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٨، ص ٢٤.

(19) Tillich, Paul: A history of Theological Thought, Touchstone Book,1967, Pag 302.

(٢٠) عطية, عبدالحليم أحمد: نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(21) المرجع السابق، ص٢٧٠ بتصرف.

(22) المرجع السابق، ص ٢٧٠ – ٢٧١.

(23) المرجع السابق، ص ٢٧١.

(24) المرجع السابق، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

(25) شطارة, ناصر عامر: الأنا وتمثلات الآخر: الأصولية المسيحية البروتستانتية أنموذجا، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد ٤٠ ، العدد ٣، ٢٠١٣، جامعة الأردن، ص ٥٨٧.

(٢٦) آرمسترونغ كارين: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سورية – دمشق، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٥٣.

(٢٧) المرجع السابق: ص ١٥٣ – ١٥٤.

(٢٨) المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٢٩) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣٠) غارودي, روجيه: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، ترجمة: خليل أحمد خليل، الناشر، دار عام ألفين، باريس، طبعة عام ٢٠٠٠، ص ١٣.

(٣١) س. لوستك, إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينه، الناشر مؤسسة الدراسات الفسلطينية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٩.

(٣٢) كوك, مايكل: أديان قديمة وسياسات حديثة، الحالة الإسلامية من منظور مقارن، ترجمة: محمد مراس المرزوق، الناشر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٧، ص ٥٤٥.

(33) Martin E.Marty and R. Scott: Fundamentalism observed, North American Protestant Fundamentalism, Nancy T.Ammerman. the University of Chicago Press, Chicago and London, 1991, Pag 1-2-3.

(34) M. Marsden George: Fundamentalism And American Culture, OXFORD University Press, Second Edition, 2006, Pag 169-170.

(٣٥) كوك, مايكل: أديان قديمة وسياسات حديثة، مرجع سابق، ص ٥٤٦.

(٣٦) المرجع السابق، ص ٥٤٦.

(37) Ruthven, Malise: FUNDAMENTALISM "THE SEARCH FOR MEANING", by Oxford University Press Inc., New York, Pag 5.

(٣٨) البعلبكي, منير: قاموس المورد، دار العلم الملايين، بيروت، ط١١، ١٩٩٧م، ص ٣٨٣.

(٣٩) كوك, مايكل: أديان قديمة وسياسات حديثة، مرجع سابق، ص ٥٤٧.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٥٤٦.

(٤١) نصار, ناصيف: منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الأمر، ط٢، ٢٠٠١م، دار أمواج للنشر، بيروت، لبنان، ص٧.

(٤٢) المرجع السابق، ص ٨.

(٤٣) المرجع السابق، ص١٤٦.

(٤٤) المرجع السابق، ص١٤٦.

(٤٥) غارودي, روجيه: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، مرجع سابق، ص ١٣.

(٤٦) ياكوبوتشي, مايكل أنجلو: أعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، تقديم: أمبرتو إيكو، ترجمة: عبدالفتاح حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٠م، ص ٤٣ – ٤٤.

(47) Ruthven, Malise: FUNDAMENTALISM, (THE SEARCH FOR MEANING), Oxford University Press, New York, Pag 1 - 2 - 3.

(48) شطارة, ناصر عامر: الأنا وتمثلات الآخر: الأصولية المسيحية البروتستانتية أنموذجا، مرجع سابق، ص ٥٩١.

(٤٩) غولدبيرغ, ميشيل: قدوم ممكلة (تنامي النزعة القومية المسيحية في الولايات المتحدة)، ترجمة: عبد اللطيف موسى أبو بصل، الناشر، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٥٤.

***حركة الإنجيل الاجتماعي: حركة نظمها وأدارها لاهوتيون بروتستانت من الحركة الاصولية، ولكن بتوجّه مختلف، تطبق الاخلاق المسيحية والمبادئ البروتستانتية على المشاكل الاجتماعية، وتدعو لخلق ظروف معيشية تؤدي إلى إنقاذ الأرواح من خلال معالجة مشاكل الفقراء ... وتعتبر الحركة الأبرز في الولايات المتحدة وكندا في مطلع القرن ٢٠ بتطبيقها الأخلاق المسيحية على المشاكل الاجتماعية، وخصوصا قضايا العدالة الاجتماعية مثل الثروة المفرطة والفقر وإدمان الكحول، والجريمة، والتوترات العرقية، والأحياء الفقيرة، والنظافة الصحية، وعمالة الأطفال، والنقابات العمالية، والمدارس الفقيرة، وخطر الحرب. وقد سعت الحركة الاجتماعية إلى تفعيل الصلاة الربانية (متى ٦:١٠): "ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء". أي أنهم يحاولون بناء مملكة الرب على الأرض حسب المشيئة الالهية، وارتبطت هذه الحركة في الغالب مع الجناح الليبرالي في الحركة التقدمية ومعظمهم كانوا من اللاهوتيين الليبراليين ومن أهم قادتها ريتشارد إيلي ووالتر ريتشنباخ صاحب كتاب (المسيحية والمشاكل الاجتماعية)". **شطارة عامر ناصر: الأنا وتمثلات الأخر، مرجع سابق، ص ٥٩٠.**

(٥٠) شطارة, عامر ناصر: الأنا وتمثلات الأخر، مرجع السابق، ص ٥٩٠ – ٥٩١ بتصرف.

(٥١) غولدبيرغ, ميشيل: قدوم مملكة، مرجع سابق، ص ٥٣ – ٥٤.

(٥٢) المرجع السابق، ٥٤ – ٥٥ بتصرف.

(٥٣) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٥٤) شطارة ناصر عامر، مرجع سابق، ٥٩١ – ٥٩٢.

(٥٥) المرجع سابق، ٥٩٢ – ٥٩٣ بتصرف.

Abstract:

The fundamentalist movement began in the United States of America out of the womb of the Protestant doctrine to defend Christian beliefs such as the divinity of Christ, the virgin birth, the divinity of the Bible, the belief that Christ died to save us and rose from the dead, and that he performed miracles during his time. This came as a response to the expanding modern theories criticizing the Holy Book and analyzing its events as legends written by men in different periods.

Conservatives saw the ideas of modernism as a direct threat to Christianity because they reject the authority of the church, cast doubts over Christ's divinity and the Holy Trinity, and prioritize the social gospel over evangelism. They fought back with measures that included trying those who believed in such concepts and managed to excommunicate some Church leaders.

The Presbyterian Church also issued a five-point paper encompassing the main tenets of Christianity and called on the cabinet to second it. In 1905, The Fundamental Testimony of Truth, a series of twelve books that include conservative Christian essays, was published and distributed.

A few years later, Baptist Pastor Curtis Lee Laws (1868/1946), having successfully popularized the word "fundamentalist", pledged that believers would vehemently defend the core tenets of Christianity during the Baptist Convention in Buffalo, New York in 1920.

A fundamentalist group or fundamentalist person is defined by certain characteristics such as hardline mentality, proclivity for violence, and rejection of the other.

Keywords:

Fundamentalism – Protestantism – Christianity - gospel